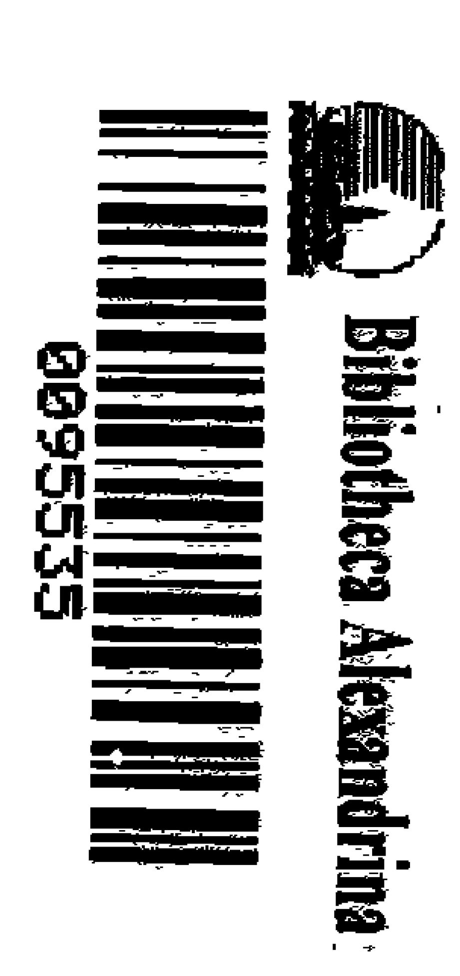
وزارة الثقافة
هيئة الآثار المصرية

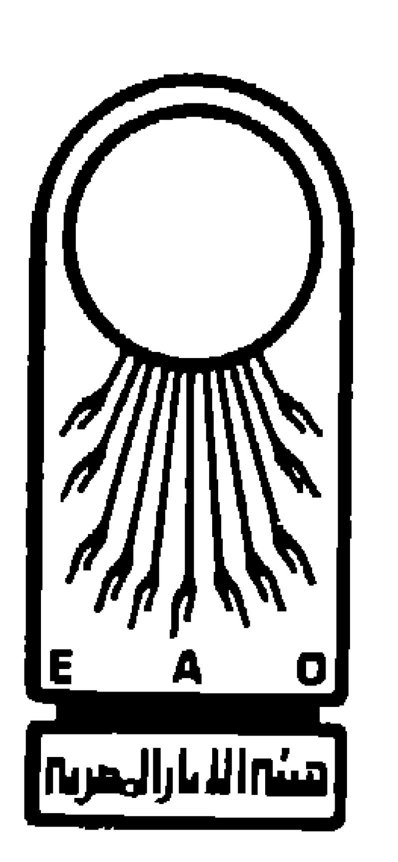
حصن عجلون
مع قلعة الجبل بالقاهرة
دراسة مقارنه

د. محمود ابراهيم حسين

مستخرج من دراسات آثارية اسلامية
القاهرة ١٩٨٨

رقم الايداع ٨٨/٧٢٥١
٥ / ١٨ / ١٥٨٥ / ٩٧٧





وزارة الثقافة
هيئة الآثار المصرية

حصن عجلون مع قلعة الجبل بالقاهرة

مقدمة تاريخية

صلاح الدين الأيوبى وأعماله الحربية فى مصر والشام :

يشير أبو شامه فى كتابه الروضتين إلى أن صلاح الدين الأيوبى لم يبدأ فى إنشاء أول أعماله الحربية الا بعد مضى عامين .. ففى عام ٥٦٦هـ ١١٧٠ / ١١٧١م شرع فى عمارة سور القاهرة الذى كان قد وصل إلى درجة من التهدم والانهيار تجعله غير قادر على حماية مدينة القاهرة ، وعلى حد قول أبو شامه ــ لا يرد داخلا ولا خارجا [١] .

ويقال أن صلاح الدين الأيوبى بدأ فى عمارة سور القاهرة فى ٥٥٦هـ ويبدو أن الأعمال المبدأية كانت تنحصر فى ترميم سور القاهرة القائم [٢] ، غير أنه وبعد ما قاد حملات عسكرية على سوريا ، وكذلك منطقتى الكرك والشوبك وقاتل الصليبيين فى عدة معارك ، عاد إلى مصر دون الحصول على مكسب ملموس [٣] . لوحات (١ ، ٢ ، ٣) .

ولم تقتصر أعمال صلاح الدين الحربية على مصر فحسب ، بل كانت له نظرة استراتيجية حربية واضحة اذ أنه أدرك خطوط دفاعية فى مواجهة الصليبيين فى بلاد الشام وشرق الأردن أمر له أهمية بالغة بالنسبة لأمن مصر ــ ومنطقة شرق الأردن بصفة عامة ، التى كانت تتمتع بموقع ممتاز واستراتيجى ــ فقد كانت الطرق والدروب التى تخترقها تنقل أساليب حضارية بين مصر والشام والحجاز وفلسطين وبلاد الرافدين . بالاضافة إلى أن تجارة العالم القديم من بحار عدن والزنج وبحر الحبشة ــ الذى كان يعرف ببحر القلزم لتفرغها فى ثغر ايله ثم تحملها قوافل إلى الشام ومصر والعراق [٤] .

وبصفة عامة ان المرحلة الأيوبية تشكل بداية اهتمام واضح من الناحية الأمنية بمنطقة شرق الأردن ، وذلك أن سلاطين الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين أدركوا أهمية المنطقة . وتجلى هذا الادراك فى الاهتمام بالدفاع عنها والتصدى للحملات الصليبية عليها . كما أنهم استطاعوا توفير قدر كبير من الاستقرار والأمن فى ربوعها ومهدوا مسالكها وأنشأوا فيها أماكن لخزن المياه ، لسقيى العابرين [٥] .

لذا فقد أنشأ صلاح الدين وخلفاؤه من سلاطين الأيوبيين سلسلة من القلاع العسكرية لتأمين المنطقة ، فالملك المعظم عيسى تولى بناء قلعة السلط [٦] بعد عام ٥٩٤هـ / ١١٩٨م والملك الناصر داوود أنشأ قلعة الأزرق [٧] فى ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م . وبذلك استطاع الأيوبيون أحكام سيطرتهم على المنطقة .

مظاهر اهتمام المماليك بمنطقة شرق الأردن :

لا شك أن الاهتمام بمنطقة شرق الأردن استمر فى العصر المملوكى كما كان الحال فى العصر الأيوبى ، فلقد أقام الكثير من سلاطين المماليك فى المنطقة ، وبعث آخرون منهم أولادهم إليها ليشبوا فى بيئة صحراوية ويتعلموا من أهلها الكثير من عاداتهم ولغتهم .

ونظرا لأهمية المنطقة وخطورة موقعها ، ومناعة حصونها ، فقد كان المماليك يولون نيابة الكرك أميرا من أمرائهم كاتابك العسكربدان السلطان محمد بن قلاوون نصب أبنه الأمير محمد عليها كى يدربه على الصيد والفروسية (٨) ، وأمر نائب الكرك بتربيته وتأديبه وبعث إليه بأبنائه كى يقيموا عنده حينا من الدهر ، فأقاموا بالكرك إلى أن ترعرعوا (٩) .

ولم تكن أهمية شرق الأردن الاستراتيجية واضحة بالنسبة للأيوبيين والمماليك فحسب بل كان لها نفس القدر من الأهمية لدى أعدائهم من المغول والفرنجة الذين تحالفوا أكثر من مرة للأعداد لعمل مشترك يستهدف القضاء على دولة المماليك فى مصر والشام عن طريق السيطرة على منطقة شرق الأردن (١٠) .

وبدأ المماليك فى ترجمة اهتمامهم بالمنطقة بأشكال مختلفة ، ما بين تحصين قلاعها ومدها بالسلاح والزخائر والرجال ، كما فعل الظاهر بيبرس والسلطان الناصر محمد بن قلاوون (١١) أو استخراج المواد الخام الخاصة بالصناعات الحربية مثل معدن الكبريت الأبيض والقار الأسود من البحر الميت وجمعها وادخالها إلى ورش صناعة الزخائر الملحقة بالقلاع (١٢) .

والمتبع للأحداث التاريخية فى منطقة شرق الأردن يدرك ادراكا كبيرا أن أهل المنطقة أنفسهم كانوا مدركين للأهمية الاقتصادية لمنطقتهم فكانوا يناصرون سلطان على آخر ، أو يتصدون لمؤامرة من سلطان ضد آخر كما حدث بالنسبة للناصر محمد فى عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٩م (١٣) .

حول شخصية صاحب البناء :

على الرغم من أن صلاح الدين الأيوبى هو صاحب الاستراتيجية العسكرية التى أوجبت بناء قلعة الربض فى عجلون ، الا أن قائده عز الدين أسامة هو الذى قام بالفعل بالأعمال التنفيذية لبناء القلعة بناءاً على أمر من صلاح الدين الأيوبى ، وكان عز الدين أسامة فى ذلك الوقت صاحب لمنطقتى كوكب وعجلون (١٤) .

ولقد لعب عز الدين أسامة دورا فى الصراع الذى دار بين العزيز والأفضل على الحكم ، فكان فى جانب العزيز ضد الأفضل ، وكان يحثه على السير إلى دمشق وانتزاع المدينة من الأفضل .

ويشير المقريزى إلى قول عز الدين أسامة للعزيز بأن الأفضل قد غلب على اختياره وحكم وزيره الضياء ، وقد أفسد أحوال بلدته برأيه الفاسد ، ويحمل اخاك على مقاطعتك ويحسن له نقض اليمين — وينهى مقولته بالعبارة الآتية : « فاقصد البلاد — يقصد بلاد الشام ودمشق — فأنها فى ترك قبل أن يحصل بالدولة من الفساد ما لا يمكن تلافيه »[١٥] واستمر عز الدين أسامة فى التقرب إلى العزيز فجعله صاحب سره وحاجبه[١٦] لكن نهاية عز الدين أسامة صاحب قلعة عجلون لم تكن سعيدة كما كانت أحواله فى حياة صلاح الدين الأيوبى وكذلك العزيز ، اذ أن الملك العادل قبض على الأمير عز الدين أسامة نائب كوكب عجلون واعتقله وأخذ جميع أمواله ونفاه إلى قلعة الكرك حيث مات هناك[١٧] .

طبوغرافية شرق الأردن وأثرها على طبيعة المواد الخام المستخدمة فى البناء :

نستطيع أن نصف أراضى شرق الأردن بصفة عامة بأنها هضبة مرتفعة ، وهذا ما جعل المناخ بصفة اجمالية معتدل فى هذه المنطقة من العالم ، ووصف المؤرخين هذه المنطقة بأنها من أحسن مناطق العالم للصحة العامة للانسان[١٨] .

وتقوم فى شمال الأردن جبال عجلون ، وهى ممتدة بين نهرى اليرموك والزرقاء ويتراوح ارتفاعها ما بين ٨٠٠ — ٦٠٠ فوق سطح البحر ، وتنتشر فوقها أشجار الزيتون المتشابكة وكروم العنب وبالاضافة إلى هذه المرتفعات تجد الكثير من الأودية العميقة ، كما تنتشر فى بعض السفوح مجموعات من ينابيع المياه وتساهم المياه من هذه الينابيع فى سقى التجمعات البشرية فى المنطقة ، ولعل أشهر هذه الجبال كان « جبل عوف » حيث تقوم مدينة عجلون وقلعتها[١٩] جنوبا من مدينة عجلون تقع مناطق البرية . وهى مناطق سهول ذكرت فى مصادر الكثير من المؤرخين المسلمين ، وإلى الجنوب من سلسلة الجبال البلقاء التى يبلغ ارتفاعها من ٨٥٠ — ١٠٠٠م فوق سطح البحر[٢٠] .

وبالاضافة إلى المناطق السابقة فان جزء كبير من منطقة شرق الأردن عبارة عن سهل فسيح يعرف باسم غور الأردن وهو سهل متسع يفصل بين الأردن وفلسطين ونتيجة لانخفاض هذا السهل فان درجة حرارته مرتفعة[٢١] ولهذا السبب نجد أن كثير من خلفاء الأمويين جعلوا منطقة الغور مشتى لهم[٢٢] .

ومنطقة شرقى الأردن تشغل مكانا وسطا بين مصر من ناحية وبلاد الشام والحجاز وفلسطين والعراق من ناحية أخرى ، وكانت الطرق التى تخترق منطقة شرق الأردن مسارات لقوافل التجارة البرية بين مصر والعراق والشام . ومن هنا فقد كانت منطقة شرقى الأردن مطمعا لكثير من القوى عبر مراحل التاريخ ، فنجد أن الصليبيين حاولوا السيطرة على شرقى الأردن وخاصة القسم

الشمالى منه ولكن هذه المحاولات لم يكتب لها التوفيق ، ولذا بنى هؤلاء الصليبيون الكثير من القلاع الحصينة لفرض حصار خارجى على المنطقة ، فعلى سبيل المثال انشأ الصليبيون قلاع فى صفد وطبرية والطور ، وكوكب الهواء وهكذا بقيت المرتفعات الشرقية فى أيدى الأيوبيين ، وأصبح فى حاجة إلى تحصينات وقلاع سلسلة القلاع والتحصينات الصليبية ، ومن هنا جاء التفكير فى بناء قلعة عجلون بأعلى جبل عوف ، وتمكن الأيوبيون ومن بعدهم المماليك من احكام السيطرة على منطقة كبيرة من شرقى الأردن وخاصة ما بين بحيرة طبرية والبحر الميت ، بل وأحكمت السيطرة على المرتفعات الواقعة غربى وادى الأردن من بيت المقدس إلى الطور وصفد ، بالاضافة إلى القسم الشمالى من الأردن (٢٣) .

ولكن الأمر فى جنوب شرقى الأردن اختلف عن الوضع فى الشمال ، فقد سيطرت القوات الصليبية ، وعبر قلاع متباعدة المسافات وهى الشوبك ، والعقبة ، والكرك ويروى القلقشندى عن السلطان الظاهر برقوق ، يصف فيه منطقة شرقى الأردن : « فهى جل البلاد الشامية وبها ارزاق العساكر الإسلامية ، وطرق الحاج إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإلى الأرض المقدسة التى هى على الخيرات مؤسسة وإلى الشريفة السلطانية وممر التجار قاصدين الديار المصرية ومنازل العربان ومواطن العشران » (٢٤) .

النظام فى داخل حصن الربض :

لا شك أن أهم دور للحصن كان استخدامه مقرا للحاكم ، ولكن الأمر كان مختلفا قليلا فيما يتعلق بحصن عجلون ، ذلك أن عجلون لم تكن ولاية ، بل كانت نيابة صغيرة تابعة لدمشق ، وكان نائب دمشق يولى من يقوم بالاشراف عليها وعلى إدارتها من قبله (٢٥) .

وقد تولاها فى بعض الأحيان أمير طبلخاناه (٢٦) ، ولكن هذا الأمر لم يكن دائما ذلك أن السلطان كان فى بعض الأحيان يتولى مباشرة ادارة الأمور فى عجلون نظرا لأهمية الموقع ، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية (٢٧) .

ولعل أهم الوظائف فى حصن عجلون هى وظيفة نائب عجلون الذى كان يعيش ويقيم فى القلعة ، وإلى جوار النائب كان هناك الجنود المسئولون عن اقرار الأمن وتنفيذ أوامر النائب فى حراسة المدينة وتأمين التجارة فيها .

وكان عدد هؤلاء الجنود يزيد تبعا للأحوال السياسية والعسكرية فى المنطقة ولقد زاد عدد الجنود والأسلحة فى هذه القلعة بصفة خاصة فى عهد الظاهر بيبرس .

ومن أهم الوظائف فى داخل القلعة كانت :

قاضى عجلون :

يشير المقريزى فى كتابه السلوك إلى وجود قاضى حصن عجلون وكان لهذا القاضى السلطة القضائية فى منطقة عجلون بأثرها ، وكان يأتيه أصحاب الخصومات فى مقره بقلعة عجلون التى كان يقيم فيها اقامة كاملة شأنه فى ذلك نائب عجلون . ومن المعتقد أن لهذا القاضى مجموعة من المساعدين يقيمون معه فى نفس المكان [٢٨] ، مثل الكاتب والحاجب وكان هؤلاء الموظفين مسئولين عن تنظيم عرض القضايا على القاضى وتنظيم مجلسه [٢٩] .

وربما كانت هناك وظائف أخرى يقيم أصحابها بالحصن كرواة للحديث أمثال محمد بن يوسف بن على المحدث شمس العجلونى الشافعى والذى توفى بقلعة عجلون فى ٧٤٩هـ وكان مجلسه أيضا فى داخل الحصن ، وربما كان له ــ شأنه فى ذلك قاضى عجلون ــ تلاميذ ومساعدين .

المحتسب :

ان انتشار التجارة ورواجها فى أسواق عجلون تجعلنا نعتقد بأن عجلون ، كان بها أحد المحتسبين الذى يعمل فى خدمة نائب القلعة إلى جواره ويمارس وظيفته من خلال أعوانه الكثيرين المنتشرين فى أسواق عجلون والقرى التابعة لها ، وعلى ما يبدو أن هذا المحتسب كان تحت امرته عددا من جنود الشرطة لتنفيذ الأوامر الخاصة بالقبض على التجار وغيرهم ممن يخالفون القوانين .

أمير القلاع :

جرت العادة على أن يقوم السلطان بتعيين أميرا للقلاع ، تكون وظيفته النظر والكشف عليها ، وممن تولوا هذه الوظيفة الأمير عبد الله الدواداری المهمندار ، ويروى أن هذا الأمير كان يقوم فى أحدى المرات بالتفتيش على قلاع البلقاء ، وفى أثناء التوجه إلى حصن عجلون سقط من أعلى فرسه فتكسرت ضلوعه ومات بعد أن حاول طبيب الحصن علاجه [٣٠] .

طبيب الحصن :

لا شك أن حصن عجلون كان يقيم به طبيب ، يشرف على الخدمات الصحية ، وصحة النائب والجنود والموظفين ولا شك أن هذا الطبيب كان له عيادة فى الحصن ومساعد ، وكان يقوم بتقديم خدماته إلى أهالى كمدينة عجلون والقرى المحيطة بها . ووجود الأطباء فى القلاع التى أنشأها الأيوبيين والمماليك كان أمرا شائقا ، ويبدو أن الأمر نفسه كان متبعا فى الكرك ، بل أن كثير من المؤرخين يشير إلى أن قلعة الكرك ، كان ملحقا بها بيمارستان خاص يتولى ادارته مجموعة من الأطباء .

ومن أشهر الأطباء الذين عملوا فى حصن عجلون الطبيب أبو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القف المتوفى فى ٦٧٥هـ [٣١] .

الدوادار فى حصن عجلون :

الدوادرية وظيفة تبليغ الرسائل عن نائب القلعة وابلاغ الأمور العامة والمنشورة والمعلومات بشأن من يحضر لمقابلة نائب القلعة ، ولابد أن مكان اقامة الدوادار فى عجلون ، هو القلعة وكانت قلعة عجلون مركزا للبريد الطائر ، ويشير القلقشندى إلى أن الدوادار كان يحل محله بعض الأحيان المهمندار الذى كان من وظائفه تلقى الرسائل ومقابلة من يريدون التحدث مع نائب القلعة .

الترميمات المتعاقبة على حصن عجلون :

لا نستطيع الجزم بأن عمليات التوسع فى أبنية الحصن بعد اتمام عملية البناء ، لم تكن متزامنة مع عمليات ترميم للأجزاء القديمة فى عصور الأيوبيين والمماليك (أشكال ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤)

وعملية الاهتمام بترميم وصيانة الحصن من قبل المهتمين بالآثار الإسلامية وكذلك الجهات الرسمية فى الأردن قديم ، ذلك أن الزلزال الذى حدث فى ١٦٢٧م قد سبب فى اسقاط الزاوية الجنوبية الغربية ، مما دق ناقوس الخطر وحمل مفتش المنطقة فى ذلك الوقت مستر هوسفليد على الاسراع فى مباشرة عمليات متعددة للصيانة والترميم ، كما قام بالمساعدة فى ذلك الوقت مدير آثار فلسطين مستر جونز وقام بالمعاونة كل من جاستون فيت مدير دار الآثار العربية فى القاهرة ، واستمرت الأعمال الترميمية مدة ثلاث سنوات كاملة ١٩٢٩ ـــ ١٩٣١م ، وقد قام بأعمال الترميم والصيانة المهندس الايطالى السنيور ريتش الذى نصب سقالة من الخشب ارتفاعها ٣٥ مترا لتساعد فى تلك الأعمال الجليلة لا سيما فى البرج الشمالى الذى أعيدت إليه بلاطة صاحب عنتاب . وقد شمل الترميم الجدران الخارجية دون أن يمس العقود واكتفى بتنظيف سطوحها مما أثقلها من الانقاض التى تهددها بالهبوط أما الشق الواسع الذى فوق قنطرة الباب فقد ربط بقضبان حديدية متينة .

وبعد ذلك قامت دائرة الأشغال العامة بتنظيف الطريق الموصل بين البلدة والحصن وتسهيله ليكون صالحا لسير السيارات وفى ١٦٥٨م استؤصلت الشجيرات التى كانت تعمل على تشقق الجدران [٣٢] .

وقد أعيد ترميم بناء الجدار المتهدم فى الواجهة الرئيسية ورفع هذا الجدار فى حدود عشرة مداميك ، كما جرى ترميم واعادة بناء الجدار الشمالى ، كما جرى اغلاق بعض الفتحات العلوية فى الجهة الجنوبية الشرقية وأثناء عمليات الترميم فى الواجهة الأمامية جرى اكتشاف بئر وتم تنظيفه، ويرجع تاريخ استعماله إلى العصر المملوكى (القرن الثالث عشر) (٣٣) .

كما قامت دائرة الآثار باستكمال مشروع ترميم حصن عجلون وصيانتها بفضل تعاون الحكومة البريطانية وايفادها للأردن خبيرا متخصصا بترميم القلاع القديمة هو المهندس برايات يوين وتركزت أعمال الترميم والصيانة فى أقسام الحصن ، مثل ترميم البرج الشمالى وصيانة وتنظيف الخندق المحيط بالحصن وتقوية أساسات الحصن بقضبان من الحديد وحقنه بالسائل الأسمنتى ، وكذلك ترميم البرج الجنوبى والقبو السفلى فى الحصن واعادة بناء البلاط الحجرى داخل القبو الذى يؤلف فى الوقت ذاته جزءا من البرج الدائرى العلوى ، وتم ازالة الأتربة المحيطة بهذا البرج ، كما تم تكميل الواجهات الحجرية من الأقبية العليا من البرج الشمالى بعد حقنها بالسائل الأسمنتى وتنظيف جدران القاعات السفلى من البرج الجنوبى وجدران الممر الرئيسى للحصن وحقن زوايا مجاريها بالسائل الأسمنتى ، كما تم ازالة الأتربة المتراكمة داخل الأقسام العليا من الحصن وتنظيف سطوحها من الأعشاب واحاطة الخطرة من الحصن لارتفاعها وتعليتها بواسطة سياج حديدى للمحافظة على أرواح الزوار من الأطفال ، ومن جملة الأعمال التى قامت بها دائرة الآثار أيضا ، عمل تصميم للحصن لبيان أقسامها المختلفة وشرحها من الناحيتين الفنية والتاريخية وتثبيتها عند مدخل الحصن (٣٤) .

وفى عام ١٩٨٢م زاد اهتمام دائرة الآثار لمنطقة حصن عجلون لما تتمتع به هذه القلعة فشرع فى العمل منذ شهر حزيران من السنة نفسها وكان الهدف الأساسى لخطة العمل بناء جسر فوق الخندق لتسهيل عملية الوصول إلى المدخل المؤدى للحصن . (شكل ٥ لوحة ٤) .

وقد أعدت الدائرة دراسات وتخطيطات لأظهار الجسر بمظهر يقرب من وضعه الأصلى ، وشرع فى هدم الممر المبنى من الحجر والأسمنت وازالة السلالم الحديدية المرتفعة التى كانت تؤدى إلى مدخل الحصن وقد روعى فى بناء الجسر الجديد أن يكون تصميمه يتبع خطوط الجسر القديم الأصلى ، كما قامت الدائرة بسلسلة من أعمال التنظيف وازالة الطمى الذى بلغ ارتفاعه حوالى أربعة أمتار تقريبا من الخندق المحفور فى الصخر .

وأثناء عملية التنظيف تم اكتشاف كتف بنى بكتل من الحجارة قطعت بشكل منتظم بمحازاة العمود الصخرى الذى كان يدعم الجسر الأصلى ، وبالتالى تم اعادة بناء الكتف ورفعه إلى مستوى العمود ليدعم الجسر الجديد .

وبعد الانتهاء من أعمال التنظيف وازالة الصخور لبناء ممر منحدر بشكل انسيابى لتسهيل عملية الوصول إلى الجسر شرع فى بناء الجسر الخشبى المدعوم بعوارض حديدية سميكة — واقامة درابزينات خشبية على جانبى الجسر بالاضافة إلى جانب واحد من جانبى الممر المنحدر ، وهكذا فان الزائر يصعد بواسطة الممر المنحدر الجانبى إلى مصطبة مربعة .

ويبلغ طول هذا الجسر الخشبى الجديد نحو ١١م وعرضه ٣ أمتار وقد قامت دائرة الآثار بمعالجة الداربزين الخشبى بمزيج من زيت التربنتين ، وبالفعل فان هذا الجسر التى قامت بتصميمه السيدة سوزان بولد رستون بالاشتراك مع مستر يربان يونى ، يبدو للمشاهد وكأنه الجسر القديم الذى كان موجودا فى حصن عجلون وقت البناء [٣٥] .

الزيادات المختلفة فى بناء الحصن :

لا شك أن أقدم الزيادات تعود إلى العصر الأيوبى نفسه ، ولقد سجلت الكتابات الأثرية والتى عثر عليها — أو بالأحرى على أجزاء منها — فى منطقة الحصن ذاته — ان أول هذه الزيادات تعود إلى عصر الملك العادل والذى تذكر المراجع التاريخية أن السلطة قد استتبت له بعد نزاع طويل مع ولدى صلاح الدين ، وقد قام العادل بتعيين أحد مماليكه المقربين وهو أيبك بن عبد الله نائبا له فى عجلون ، فقام ببناء البرج الجنوبى وسجل على بلاطه فى الجهة الشرقية منه ما يشير إلى الزيادة : « بسم الله الرحمن الرحيم » أشاد هذا البرج المبارك أيبك بن عبد الله أسست دار الدولة المعظمة فى شهور سنة احدى عشر وستمائة [٣٦] . شكل (٦) .

ثم قام الأمير ظاهر الدين سنقر الحلبى بشراء حصن الربض بأربعين ألف درهم وحصان وأشياء أخرى ، وقدمها إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف الثانى ابن الملك العزيز ملك حلب الذى أمر بتجديدها واضافة بعض البنايات إليها ، وكما وجدت فى الواجهة الشرقية من البرج الشمالى نقشت عليها هذه الكتابة التذكارية :

« هذا جدد فى أيام مولانا السلطان الكامل الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد خلد الله ملكه بنظر العبد الفقير محمد بن ابى بكر صاحب عنتاب » [٣٧] .

وعندما تولى الظاهر بيبرس الحكم فى مصر ، ظهرت حركة انفعالية من قبل سنقر الحلبى نائب دمشق ، ولكن بعد أن فشل تحالف الصليبيين والتتار ضد المماليك فى مصر — تفرغ الظاهر بيبرس للقضاء على هذه الحركة الانفصالية فى دمشق ، والتى كانت قد شملت عجلون والسلط .

ونظرا لأهمية منطقة عجلون سارع الظاهر بيبرس فى تخليص المدينة واعادتها إلى دولته مرة أخرى ، وأغلب الظن أن الظاهر بيبرس قام بتحصين الحصن واعادة بناء وترميم الأجزاء التى

تهدمت ، كما أوعز إلى عاملة إليها عز الدين أيبك المتوفى فى ٦٨٨هـ بتجديد بعض الأجزاء وسجلت هذه العملية فى كتابة تذكارية حجرية نصها :

« عمل فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس الصالحى أعز الله أنصاره ، بنظر العين الفقير الراجى عفو الله وغفرانه ملك الأمراء عز الدين أيبك العلائى بتاريخ العشرين من شعبان سنة تسعة وخمسين وستماية »(٣٨) .

ومما يلفت النظر أن هذه القلعة لم تفقد أهميتها طوال العصر المملوكى ذلك أن هذه القلعة شكلت بالاضافة إلى غيرها من القلاع فى بلاد الشام خط الدفاع الرئيسى عن الديار المصرية فى مواجهة الخطر التتارى القادم من جهة الشرق ، كما كان لها أثر واضح فى تأمين المواصلات بين شرق العالم العربى وغربه.

ويروى المؤرخين أن سيل ورياح عاتية وعواصف هوجاء اجتاحت مدينة عجلون ففاضت الوديان ودمرت الكثير من المنشآت القائمة ، بل وجرف السيل كل ما قابله فى طريقه من دور وقياسر وأسواق ، وطواحين وبساتين ، ولم تصلنا أخبار من المؤرخين بأن القلعة قد تعرضت للتلف أو التصدع وقد يكون ذلك راجعا إلى متانة البناء وارتفاعه عن وديان عجلون نفسها ولكن على أغلب الظن فان هذه الأمطار والسيول لابد وأن تكون قد أثرت فى بعض أجزاء الحصن ، وربما احدثت بها. بعض الأضرار السطحية ، ومن المؤكد أن نائب دمشق فى ذلك الوقت سيف الدين تنكز بن عبد الله المتوفى ٧٤١هـ قد أسرع بندب من يقوم باعادة ترميم ما تلف من أبنية المدينة ومنها الحصن .

وعلى أية حال فان حصن عجلون لم تفقد دورها الحربى والاستراتيجى طيلة عصر المماليك ذلك ان ادراك سلاطين وملوك بنى أيوب ، وكذلك سلاطين المماليك لدور القلعة كجزء من خط دفاع رئيسى عن الديار المصرية فى مواجهة الخطر التتارى أو اخطار الصليبيين ، بالاضافة إلى دورها فى تأمين خط المواصلات بين الشام ومصر ، كانت عوامل اهتمام بالقلعة .

* * *

وصف الحصن

يرى المشاهد للقلعة أول ما يرى ـــ خندق يحيط بها من جهاتها الأربع مستطيل تقريبا ـــ ولكن أضلاعه مختلفة الأطوال ذلك أن طول الضلع الشمالى وكذلك الجنوبى يبلغ نحو ١٠٠ متر ، بينما طول الضلع الشرقى والغربى نحو ١٥ متر ـــ وتؤلف هذه الأضلاع عند الأركان زوايا قائمة . « لوحة (١) شكل (١) » .

الملاحظ اختلاف عرض الخندق على طول امتداده حول الحصن وبشكل غير منتظم من ناحية الاتساع ـــ حيث يبلغ اتساعه من الجهة الشمالية ١٣م ، والجهة الجنوبية ٧٠و١٨ متر ومن الجهة الغربية ٥ر١٦م تساوى الجهة الشرقية مع الجهة الشمالية « حيث تبلغ ١٣ متر » ، بينما يبلغ اتساع الخندق فى الزاوية الشمالية الشرقية بين البرجين أكثر من عشرين مترا ـــ ولقد اجتهد المعمار فى أن يجعل الجزء الذى يقع فوقه الجسر الموصل إلى داخل الحصن ٣٠و١٠ متر .

أما عمق الخندق فهو أيضا متباين ـــ وذلك ان الميلان والانحراف من طبيعة الصخر المنحوت مختلف من جانب إلى آخر .

من المكان الذى يقوم عليه الحصن ـــ ويختلف عمق الجزء المنحوت فى الصخر فى الجهة الواحدة من موضع لآخر ـــ وبصفة عامة يقل ارتفاع عمق الخندق كلما اتجهنا إلى الشرق والجنوب وذلك بسبب وجود الانحدار فى الهضبة التى يقوم عليه الحصن (لوحة ١) وأقل النقاط عمقا فى الخندق فى الجهة الجنوبية من الحصن حتى ان مهندسى البناء استعاضوا عن الحفر ببناء بعض المداميك من الحجارة المنحوتة نحتا ناعما ، ويمكن مشاهدة عشرة مداميك منها لبنية فوق الصخر على امتداد اثنى عشر مترا وارتفاعها ستة أمتار ، كما بنى من الناحية الجنوبية الشرقية ستة مداميك أخرى يتراوح ارتفاعها ما بين ٥ر٢ متر و٣م وبجانب هذا البناء درج يؤدى إلى الخندق ـــ ويمكن مشاهدة درجتين منه بلغ عرض الواحدة ٦٠سم وارتفاع الدرجة الواحدة ٢٠سم ، أما عمق الخندق من الجهة الخارجية فيتراوح ما بين ستة أمتار « فى أقل عمق » إلى عشرة أمتار فى أعمق ناحية ، وكان هذا الخندق يملىء بالماء ليجعل منها مانعا لمن يحاول اختراقه ، ولذا فان الخندق يشكل عاملا دفاعيا كبيرا ضد من يريد الوصول إلى الحصن ومهاجمتها للاستيلاء عليها ، كما يعتبر عاملا استراتيجيا من ناحية أخرى . أى أنه عند امتلائه بالماء يساعد المدافعين على مواجهة أى حصار من قبل المهاجمين .

وكان الخندق سابقا يملىء بالماء عن طريق قنوات من المنطقة المحيطة به ـــ أو من أعلى سطح الحصن حيث حفرت قنوات الماء فى الجزء الداخلى من الصخر بعرض عشرون

سنتيمترا ــ وعمق عشرة سنتيمترات ، والتى كانت تنزل إليها المياه من خلال قنوات حجرية ــ أو من خلال قنوات الفخار التى تشاهد أجزاء منها ــ حيث كان يتم تصريف المياه من الداخل إلى الخارج بواسطة هذه القنوات .

ونلاحظ أن الجزء الخارجى من الخندق منحوت فى الصخر بشكل عمودى مستقيم ، أما الجزء الداخلى فقد نحت فى الصخر بشكل مائل بحيث يبرز منها قليلا عند الجزء العلوى للخندق . وكذلك فان الخندق وفى أماكن كثيرة منه مليئة بالردم الناتج من البناء بالحجارة وبأحجام وأشكال منتظمة وغير منتظمة .

تصادف خارج أسوار الحصن وفى الجهة الجنوبية الشرقية منها خزان للماء تحيط به ساحة مستطيلة الشكل تبلغ أطوالها ١٨و٣٠ × ١٦م ، وهى مرتفعة عن الخندق حوالى ثلاثة أمتار ــ وبها قنوات صغيرة لتصريف المياه الزائدة فى حالة امتلاء الخزان وعمق هذا الخزان يزيد عن خمسة أمتار ، وأرضيته تلتقى مع الجدار تحت النافذة ، وذلك على يسار مدخل الحصن وعرض القناة الواحدة يبلغ المتر ، وعمقها يبلغ عشرين سم ، وهى تؤدى إلى أرضية البئر ، واستخدمت لرفع المياه منها وهى صالحة للاستعمال من قبل الحامية التى ترابط داخل القلاع .

البناء من الخارج :

يقع مدخل الحصن فى الجهة الشرقية وعلى يمينه يقوم برج مبنى فوق الصخر بمستويات استواء سطح الصخر أسفل البناء وعليه يظهر التفاوت فى مستوى الأساس (لوحة ٥) حيث يقوم المدماك الأول بحجر واحد فقط ، أما المدماك الأعلى فى هذا البرج فقد بقى منه ستة أحجار (لوحة ٦) .

والملاحظ أن حجم الأحجار التى بنى بها هذا البرج كانت ذات أحجام مختلفة ، حيث تبدو فى الأسفل كبيرة الحجم ويبلغ معدل طول المداميك السفلى الكبيرة حوالى المتر طولا وبنحو سبعون سنتيمترا ارتفاعا ، بينما بلغ متوسط طول الحجارة العليا من البرج خمس وستين سنتيمترا بارتفاع خمس وأربعون سنتيمترا والحجارة فى هذا البرج منحوتة ويقوم فى جزئها الخارجى الأمامى اطار منحوتا نحتا ناعما بعرض خمسة سنتيمترات .

ومن خلال النوافذ وفتحات السهام فى هذا البرج فانه يمكن معرفة عدد الطوابق التى يتكون منها هذا البرج وهى ثلاثة حيث توجد فتحة للسهام فى مستوى الطابق الأول فوق المدماك الرابع ــ وهى ذات شكل مستطيل يبلغ ارتفاعها ١٥٠ سنتيمترا وعرضها خمسة عشر سنتيمترا ، وفوق المدماك الخامس عشر تقوم نافذة فى الطابق الثانى وهى مربعة الشكل حيث تبلغ أبعادها ١٣٠ × ١٣٠ سنتيمترا ــ أما النافذة فى الطابق الثالث فهى بعد المدماك الثامن والعشرين ، وقد

وضع شبك من الحديد ـــ وذلك لحماية أى شخص يقترب للنظر منها من السقوط [٣٩] . (لوحة ٧) .

ويلى ذلك السور الشرقى ويقع شمال البرج المحازى للمدخل بين هذا البرج والبرج الذى فى الزاوية الشرقية الشمالية ويبرز البرجان فى الجهتين عند هذا السور أو الجدار بمقدار نصف متر إلى الخارج .

والجزء العلوى من هذا الجدار مهدم والجزء الباقى يتكون من أربعة عشر مدماكا من الحجر منها خمسة مداميك وهى تعود إلى البناء الأصلى ، كما يظهر ذلك من لون الحجارة وشكلها ، والتسعة مداميك العليا مرممة فى وقت لاحق ، وقد بنى فيها طاقتان فى الجانبين ، كما فتحت نافذة فى وسط هذا الجدار .

ويظهر من شكل الأحجار التى بنى بها السور أنها أحجار كلسية ويظهر اختلاف اللون فى الحجارة المرممة من الأصلية ، حيث أن المداميك الخمسة السفلى ذات ألوان قاتمة أكثر من العليا التى هى من نفس النوع ـــ إلا أنها قد أعيد نحتها عند ترميمها وهذا جعلها أكثر بياضا من القديمة التى لازالت على حالها . وحجم الحجارة فى هذا الجدار مميزة عن حجارة البرجين من حيث أن حجمها أصغر ، حيث يبلغ متوسط حجم الحجارة فى الجدار ٤٥ × ٤٠ سنتيمترا .

ويلاحظ أن البرج الشمالى الشرقى والملاصق للجدار السابق مبنى من الحجارة يدعمه عند الزاوية الجنوبية الشرقية جدار استنادى عرضه ٣٫٥م وارتفاعه ثمانية عشر مدماكا (لوحة ٨) حجريا والحجارة فيه مبنية بشكل درج من هذه الزاوية الجنوبية لهذا البرج يوجد فراغ على شكل مثلث رأسه إلى أسفل وقاعدته إلى أعلى ، ولكنها ليست مغلقة تبدو منه الأجزاء الداخلية العليا من هذا البرج وفى هذا البرج تبدو التشققات فى الجدران بشكل واضح ، وربما تكون ناتجة عن الزلزال الذى حدث فى عام ١٩٢٧م وفى الواجهة الجنوبية وفوق مستوى جدار السور والجدار المحازى للبرج ، فيوجد حجر كبير الحجم يبلغ طوله ١٢٨ سنتيمترا ، وارتفاعه ٣٨ سنتيمترا ، وعليه نقش يتكون من سطرين اثنين ونص هذا النقش :

السطر الأول : جدد فى أيام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف .
السطر الثانى : ابن الملك العزيز محمد الله خلد ملكه بنظر العبد الفقير محمد بن يزيد صاحب عنتاب .

وبناء على ما جاء فى هذا النص فان تجديد البرج قد تم فى فترة حكم صلاح الدين يوسف بن محمد بن الظاهر بن أيوب الذى تسلم الملك بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى حكم فى الفترة ما بين (١٢٥٠ ـــ ١٢٦٠م) (٦٤٨ ـــ ٦٩٩هـ) أما الواجهة الشرقية للبرج

فتشتمل على واحد وأربعون مدماكا من الحجر المنحوت ، وتظهر بعض هذه الحجارة بارزة للخارج . وبأطوال وأحجام مختلفة ، حيث أن الفرق واضح وكبير فى أطوال الحجارة فى المداميك السفلى لهذا البرج والتى تتراوح ما بين المتر ونصف والمتر بين طولا وارتفاع قدره ثمانون سنتيمترا أما فى المداميك العليا فان حجمها أصغر ويبلغ الحجر الواحد منها حوالى خمسين سنتيمترا فى طوله وأربعين سنتيمترا ارتفاعا وهذا يدل على مدى قدرة المهندسين على تخفيف الضغط فى الثقل الواقع على المداميك السفلى نتيجة الزيادة فى ارتفاع البناء ـــ ويوجد فى هذه الواجهة من البرج فتحة للسهام فوق مستوى المدماك الخامس ويبلغ ارتفاعها حوالى ١٣٠ سنتيمترا وعرضها حوالى عشرة سنتيمترا وهى تسيطر على واجهة الخندق والحصن من الجهة الشمالية الشرقية . وبالنسبة للواجهة الشمالية لهذا البرج فانها لا تختلف عن بقية البرج من حيث طريقة البناء أو من حيث نوع الحجر وبهذه الواجهة يستطيع الانسان رؤية نحو أربعة وأربعين مدماكا حجريا ، كما يوجد بها نافذتان : النافذة الأولى منها تقع بعد المدماك الرابع عشر ، والنافذة الثانية بعد المدماك الثانى والعشرين ويلاحظ أن المادة المستخدمة فى ربط حجارة البناء هى الملاط [٤٠] .

الجهة الشمالية :

يمتد جدار الجهة الشمالية بطول نحو ستة عشر مترا ، وتتألف الحجارة من نحو ثلاثة عشر مدماكا وأغلبها يعود إلى فترات متأخرة ، على أن بعض الحجارة فى هذه الجهة منحوتة بطريقة ناعمة الملمس ، ويبلغ متوسط أطوال الحجارة فى هذه الجهة نحو أربعين سنتيمترا عرضا وبارتفاع ثلاثون سنتيمترا ، وأما العرض فيبلغ ١٠ سنتيمترا ، ويلاحظ وجود ردم خلف هذه الجهة ناتج عن تساقط الأحجار عبر السنين ، وإلى جوار هذا الجزء يرتفع مستوى الصخر ليصبح مساوى لارتفاع المداميك الحجرية الثلاثة عشر التى أشرنا إليها . وفوق هذا الصخر بنى الجدار الشمالى للبرج الواقع فى منتصف الجهة الشمالية أما الحجارة التى بنى منها هذا الجزء فهى تتألف من نوعين ، نوع يتشابه مع أحجار الواجهة الشرقية مع بعض الاختلاف فى طريقة النحت والبناء ، وحجم الحجر الواحد ويبلغ خمسين سنتيمترا عرضا ، وأربعين سنتيمترا ارتفاعا ، ويلاحظ استخدام أجزاء من أعمدة قديمة كمداميك للبناء ، وإلى جوار الحجارة المنتظمة السابقة نلاحظ وجود أحجار غير منتظمة الأحجام . ويلاحظ أيضا أن السور فى هذه الجهة لا يحتوى على نوافذ أو مزاغل [٤١] .

الجهة الغربية :

يلاحظ فى هذا الجزء من واجهة الحصن ، أن مجموعات الأحجار المستخدمة فى البناء منتظمة وأحجامها متقاربة ويبلغ عدد المداميك فى هذا الجزء من الواجهة نحو ستة وأربعون مدماكا حجريا . وتبدو الستة عشر مدماكا السفلى مائلة للداخل وكأنها جدار استنادى كما أن الحجارة بعد

المدماك الثلاثين تبدو متباينة من حيث العدد ، مما يجعلها تبدو للناظر كأنها مدرج ، وكما هو الحال فى الواجهة الشرقية فان حجم الحجارة فى المداميك السفلى أكبر حجما من الحجارة فى الأجزاء العليا ، وذلك أن حجم الحجر فى المداميك السفلى ٦٠ سنتيمترا وارتفاعه خمس وأربعون سنتيمترا فى حين أن حجم الحجارة فى المداميك العليا تبدو نصف الحجم السابق . ويوجد فى هذا الجزء من سور القلعة خمسة مزاغل ــ كانت تسيطر على الجهة الجنوبية الغربية للقلعة وهذه المزاغل تبدو موزعة فى مستويات متباينة الارتفاع ، كما أن سعة فتحة خروج السهام غير منتظمة وتتراوح فى عرضها بين ٨ ــ ١٠ سنتيمترا ، ويعلو كل فتحة مزغل عقد صغير وتتشابه هذه المزاغل بصفة عامة مع المزاغل الموجودة فى الواجهة الشرقية سواء من حيث ترتيب الأحجار أو الشكل العام للمزاغل (لوحة ٩) .

الجهة الجنوبية :

يبدو هذا الجزء للناظر أعلى من باقى أجزاء سور القلعة ويمتد جدار السورمن الزاوية الجنوبية الغربية للحصن بمقدار ٣٢ مترا تقريبا ، ويوجد على امتداد ١٢ مترا منها جدار استنادى يبدأ من عند الزاوية بالغرب ، كما يلاحظ أن الأرضية الصخرية غير واضحة وغير منتظمة وغير مستوية ، ويبدو فى أعلاها سياج حديدى وضع حديثا من قبل دائرة الآثار العامة لحماية زوار الحصن من السقوط (لوحة ١٠) كما يخلو هذا الجزء من سور الحصن من المزاغل على الاطلاق . ويبرز فى الجهة الجنوبية برج عن الجدار بمقدار أثنى عشر مترا ، ويشتمل على أربعين مدماكا حجريا ، ويبدو فى هذا البرج مزغلين لرمى السهام أحدهما فوق المدماك الثامن ، والمزغل الآخر عند المدماك السابع عشر ، والمزغلين فى هذه الواجهة ، يبلغ ارتفاع الواحدة منها ١٣٥ سنتيمترا وعرضها ٤٠ سنتيمترا ، أما الجدار الجنوبى لهذا البرج فيدعمه جدار استنادى بارتفاع تسعة مداميك من الحجارة المنحوتة ، والمداميك السفلى تتألف من حجارة ضخمة جدا يصل طول بعضها إلى ٥و٢ مترا وارتفاعها نحو ٧ سم ، وتصغر أحجام الأحجار كلما ارتفع البناء إلى أعلى ــ ومن خلال أشكال المزاغل يبدو البناء وكأنه ثلاثة طوابق ، فتوجد نافذة عند المدماك الثامن من البناء ، كما توجد واحدة أخرى عند المدماك السابع عشر فى مستوى الطابق الثانى ، وعند المدماك الثلاثين توجد نافذة أخرى ، ويلاحظ أن النافذة الثالثة العلوية فقد أغلقت من قبل دائرة الآثار بشبك حديدى للحماية من السقوط وأما الجدار الشرقى لهذا البرج فطوله يبلغ حوالى ٢٤ مترا ، ويشتمل على أربعين مدماكا حجريا فى الارتفاع والحجارة مشابهة للحجارة فى بقية أجزاء البرج .

وفى مستوى الطابق الأول وبعد المدماك الحادى عشر يوجد مزغل من الجهة الشمالية وفى نفس المستوى توجد نافذة ويبدو أن النافذة والمزغل على نفس المستوى الموجودة عليه النوافذ فى الواجة الجنوبية عند المدماك الحادى عشر ، والفرق فى عدد المداميك ناتج عن اختلاف ارتفاع الصخر فى الواجهتين . ويوجد على عتبة النافذة فى الواجهة الشرقية للبرج والتى تطل على ساحة الخزان (البئر) وفى الطابق الأول نقش بالخط العربى يتألف من ثلاثة أسطر :

السطر الأول : بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البرج

السطر الثانى : المبارك أيبك بن عبد الله استاذ دار المعظمى

السطر الثالث : فى شهور سنة احدى عشر وستماية (٤٢)

أما على مستوى الطابق الثانى من هذا البرج وبعد المدماك العشرين يوجد مزغلين ويبدو أن المزغل الجنوبى منها كان على هيئة نافذة ، وقد علاها نحت غائر على شكل مستطيلات متوازية ، وبعد المدماك الحادى والثلاثين توجد نافذة فى مستوى الطابق الثالث وضع عليها شبك من الحديد لحماية الناس من السقوط عند النظر منها والمزاغل والنوافذ على هذه الواجهة كانت توفر السيطرة على الجهة الشرقية للقلعة وكذلك على المدخل . وحجارة الطابقين الثانى والثالث فى هذا البرج منحوتة بشكل أفضل من الطابق الأول .

الجدار الجنوبى للمدخل :

يلتقى الجدار الشرقى للبرج الجنوبى مع جدار المدخل من ناحيته الجنوبية ، حيث تقع الأساسات على ساحة الخزان ، ويبدو أن المدخل الحالى للحصن يعود إلى فترة متأخرة عن البناء الأصلى ، ونشاهد ثلاث فتحات للسهام ، ثم نافذة حفر تحتها قناة فى الصخر تؤدى إلى الخزان . وينحدر الصخر فى هذه الجهة من الغرب إلى الشرق .

وبصفة عامة فان الشكل العام للحصن هو بناء مستطيل يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٧٠ مترا من الشرق إلى الغرب ٨٠ مترا ، كما يظهر على شكلها الخارجى فى الجدران والأبراج بعض التشققات التى تجمعت عن الزلازل التى أصابت القلعة مرات متعددة .

* * *

وصف حصن عجلون من الداخل

يقع مدخل الحصن فى الواجهة الشمالية الشرقية وتبلغ سعة الخندق أمام المدخل عشرة أمتار وثلاثون سنتيمترا ، وهى تشكل أقصر مسافة بين طرفى الخندق الداخلى والخارجى ويرى الزائر اليوم جسرا خشبيا ، يرتكز فى وسط الخندق على قاعدة حجرية يبلغ عرضها متر واحد وأما ارتفاعها إلى بداية الجسر فيبلغ ستة أمتار ، ويتألف هذا الجسر من تسعة عشر مدماكا حجريا ، وكان يترکز عليها فيما يبدو (شكل ٧) جسرا خشبيا متحرك يصل ما بين مدخل القلعة والطرف الخارجى للخندق ، وكان يرفع وينزل حسب الحاجة وكان يثبت من خلال تجويفين نحتا فى الصخر عتبة المدخل بحوالى ٣٠ سنتيمترا وعلى أية حال فان احاطة الحصن بالخندق استوجب وجود جسر لربطها بالجزء الموجود خارج هذا الخندق ، ووجود الجسر المتحرك فوق الخندق يضاعف من قيمة الخندق لخط دفاعى متقدم بالنسبة للحصن ، وهذا يدل على استراتيجية متقدمة للمسلمين وفهم لفنون البناء . ويذكرنا هذا الجسر بقلعة صلاح الدين (صهيون) الواقعة على بعد ثلاثة وثلاثين كيلو مترا شرق اللاذقية [٤٣] وتظهر بوابة المدخل عند نهاية الجسر ، ويبلغ عرضها متران وارتفاعها ثلاثة أمتار ونصف وتنتهى من أعلاها بعقد مدبب والجهة اليمنى من الداخل تتألف من أربعة حجارة كبيرة ترتكز على نتوء صخرى ارتفاعه أربعون سنتيمترا ، ومن الجهة اليسرى يتألف من خمسة حجارة ، وذلك لعدم وجود نتوء صخرى مماثل لما هو موجود فى الجهة اليمنى وفوق هذا المستوى فى الجهتين ، يقوم العقد المدبب وهو يتألف من سبعة حجارة ثلاثة فى ناحية والحجر السابع بشكل حجر الغلق .

ويعلو البوابة بقايا شرفة أو سقاطة محمولة على كابولى حجرى ، وكانت هذه السقاطة تستخدم لصب الماء أو الزيت المغلى على رؤوس المهاجمين ، وتؤدى هذه البوابة إلى ممر طوله ٩ر١٦م ، وعرضه يتراوح ما بين ٥ر٣ ــ ٤م حيث انه غير منتظم العرض . وينتهى الممر بدرج صاعد تبلغ عدد درجاته ٢٤ درجة ، وطول الدرجة الواحدة وارتفاعها متغير وغير ثابت ، اذ يتراوح ما بين ١٥ ــ ٢٥سم والعرض ، أيضا غير منتظم فى جميع الدرجات اذ يتراوح عرض الواحدة ما بين ٣٠ ــ ٤٥سم .

ويعلو المدخل سقف على هيئة قبو يمتد مسافة عشرة أمتار تبدأ من بداية المدخل وعلى يمين المدخل توجد فتحة واحدة للسهام ضمن الجدار ، وهى مرتفعة عن الأرضية وتقع فى الجدار الجنوبى للبرج المحازى للمدخل ، وهذا يعطى دليلا على أن المدخل مضافا إلى القلعة فى فترة

تاريخية لاحقة ، أما الجهة اليسرى من الممر فيوجد بها خمس مزاغل وزعت فى الجدار على يسار المدخل بحيث يكونكل مزغل داخل حنية ، أما مساحة الحنية أو مقاساتها فتبلغ ٥ر١م × ٥ر١ ، ويبلغ ارتفاع المزغل حوالى ١٣٥سم تقريبا وعرضه ١٠سم ، ويمكن ان تتسع كل حنية لأثنين من الجند يقومان بالتناوب بالرماية من المزاغل ويلاحظ أن هذه المزاغل تسيطر على الحنية الموجودة فيها الخزان ، كما أنها توفر حماية للجدار الشرقى من البرج الموجود فى الجبهة الجنوبية (شكل ٨) .

ويلاحظ ان الحنية الرابعة تركت كنافذة ، وقد أغلقتها دار الآثار العامة بشبك حديدى وفى أرضية هذه الحنية نجد القناة التى تؤدى إلى أرضية بئر الماء (الخزان) القائم فى مساحة الخندق الشرقية ، وربما كان يرفع الماء من هذه النافذة إلى داخل القلعة . السائر عند نهاية المدخل إلى جهة اليمين بحيث يجد السائر نفسه أمام مدخل آخر قائم فوق عقدين مدببين بينهما مسافة فاصلة مقدارها نصف متر ، وتستخدم لصب المواد الحارقة على المهاجمين ، وربما كان يوجد عند هذا المدخل باب حديدى بين العقدين ، لإعاقة المهاجمين للحصن ، وعقود المدخل غير متساوية فى العرض ، فيبلغ عرض العقد الخارجى أربعة أمتار ونصف وهو أعرض من العقد الداخلى الذى يبلغ عرضه أكثر من مترين قليلا (١٠ر٢م) والعقد الخارجى فى جانبه الأيمن يرتكز على أربعة مداميك حجرية ، أما الجانب الأيسر منه فيرتكز على ثلاثة حجارة ، واختلاف أعداد الأحجار فى الجهتين ناتج عن اختلاف أحجام الأحجار . حيث نجد أن المعمار أعتمد على التساوى فى الارتفاع مع عدم الاهتمام بالتماثل فى عدد المداميك ، وبلغ عدد حجارة العقد الخارجى أربعة عشر حجرا ، أما العقد الداخلى فان مجموع الحجارة التى تألف منها هو عشرة . وعلى الجانب الأيمن للعقد الخارجى وعلى الحجر الرابع من الحجارة التى يرتكز عليها العقد يوجد نحت لطائرين متقابلين ، وبصفة عامة فان الطائرين منحوتان بطريقة جيدة ، أما الجهة اليسرى المقابلة لهذا الحجر يوجد بها آثار لنحت يمثل طائر واحد فقد بنفس الطريقة السابقة ، كما أن هناك تشابه واضح بين شكل الطائرين ، على الجهة اليمنى ، وشكل الطائر الموجود فى الجهة اليسرى (لوحة ١١) وبصفة عامة فان مدخل قلعة عجلون يمثل المدخل المنكسر Bent Entrance وهو طراز من المداخل وجد فى المبانى الحربية ومداخل المدن وكذلك فى بعض الأبنية المدنية . وبعد المرور من هذا المدخل المنكسر ، يجد السائر نفسه أطوال هذا الموزع ٣٠ر١١ متر شرقا وغربا ، والعرض قدره ٧٥ر٤م ، ويغطى سقف هذا الموزع قبو ، ويوجد فى جدارها الشمالى باب يبلغ عرضه ٦٠ر١م ويبلغ ارتفاعه مترين وستين سنتيمترا ، ويؤدى إلى قاعة تقع إلى الشمال منه أما بالنسبة للجدار الغربى لهذا الممر فيوجد باب آخر قبلى عرضه ١٣٠ سنتيمترا ويصل ارتفاعه إلى ٢٢٠ سنتيمترا يؤدى إلى ممر آخر يؤدى إلى الجهة الغربية ، وعلى يمين هذا الممر يوجد بئر قطر فوهته ٥٥سم يحيط به اطار مربع منحوت فى الحجر يبلغ طول ضلعه ٦٥سم يعلوه عقد صغير يرتفع

حوالى متر ضمن الجدار الغربى ، ويوجد بئر محفور فى الأرض ، وفى الجدار الجنوبى للموزع على يسار المدخل توجد حنية عرضها متران تؤدى إلى فتحة للسهام يبلغ ارتفاعها ١٣٠سم ويبلغ عرضها ١٠سم ، وهى تسيطر على مدى الرمى عند نهاية الممر (انظر شكل ٧ من مخطط الطابق الأول) (٤٤) .

القاعة الشمالية :

يدخل الانسان إلى هذه القاعة من خلال الممر الموجود بعد المدخل المنكسر ، والقاعة أصابها دمارا شديد ، فيما عدا الحائط الشرقى الذى يبلغ عرضه ١٢٠ سنتيمترا أما ارتفاعه فهو غير واضح بسبب الردم ، ويؤدى هذا الباب إلى قاعة صغيرة فيها أبواب إلى قاعات أخرى .

القاعة الصغرى :

وهى التى تنفذ إليها من القاعة السابقة من بابها فى زاويتها الجنوبية الشرقية وتبلغ أبعاده ١٥٫٧٠ مترا طولا ، ونحو مترين عرضا ، ويلاحظ أن الجدار الشرقى قد أصابه دمار شديد ، كما تتخلل هذا الجدار ثلاثة فتحات تمثل بقايا ثلاثة أبواب أو منافذ كانت تؤدى إلى القاعة الواقعة إلى الشرق من هذه القاعة ، ويوجد بمحازاة بقايا هذا الجدار سلم يصعد منه إلى الطابق الثانى (شكل ١١ ، ١٢ ، ١٣) من الحصن ويحتوى هذا الدرج أو ما تبقى منه حاليا على خمسة عشر درجة طول الدرجة الواحدة تسعون سم وارتفاعها ٢٠ سنتيمترا ، كما يوجد باب فى الزاوية الجنوبية الشرقية يبلغ عرضه خمس وسبعون سنتيمترا عرضا ، ويبلغ ارتفاعه ١٢٠ سنتيمترا ويؤدى إلى داخل البرج المحازى للمدخل .

البرج المحازى للمدخل :

يمكن النزول إلى هذا البرج من خلال أربع درجات من خلال الباب السابق حيث أن أرضية منخفضة أقل من القاعة المحازية ، حيث يبلغ طول الدرجة الواحدة خمس وسبعين سنتيمترا وارتفاع الدرجة الواحدة يبلغ عشرين سنتيمترا . وهذا البرج يبدو من الداخل مربع الشكل ، طول أضلاعه ٧٫٢٠ × ٧٫٢٠م ، توجد فى كل من جداريه الجنوبى والشرقى فتحة للسهام يعلوها حنية صغيرة ، ويبلغ ارتفاع الفتحة الواحدة ١٥٠ سنتيمترا ، وعرضها ١٥ سنتيمترا ، أما سمك الجدران من خلال هذه الفتحات فيبلغ نحو ٢٨٥ سنتيمترا وعرض الفتحة من داخل البرج ٢٫٢ متر ومثل هذه المساحة تتسع لأكثر من جنديين وتسيطر الفتحة الشرقية على الجهة الشرقية من الخندق والمدخل فى حين كانت الفتحة قبل بناء أو اضافة المدخل إلى القلعة الأصلية تسيطر على ساحة البئر والخندق فى الجهة الشرقية من الحصن ، أما بعد اضافة المدخل فقد أصبح مدى الرماية منها قصير لا يتعدى مدخل القلعة .

وفى الجدارين الجنوبى والشمالى لهذا البرج توجد ثلاثة مداميك من حجارة منحوتة نحتا خفيفا ويبلغ ارتفاعها ١٫٥٠ مترا ، ويعلو هذه المداميك مباشرة القبو الذى يعلو الغرفة وهو قبو نصف اسطوانى حجارته ذات لون مائل إلى الأحمر ، ويتخلل هذا القبو فتحة مربعة الشكل ، وربما بغرض التهوية أو أنها تسمح لسكان الطابق العلوى بمخاطبة سكان الطابق الثانى .

الساحة الشرقية :

وهى مساحة قائمة بين برجين ، برج يحازى المدخل ، والبرج الشمالى الشرقى للحصن ويوجد بهذه الساحة بقايا جدران كانت تفصل أو تقسم هذه الساحة إلى ثلاث غرف ، كان يفصل بين الجنوبية والوسطى منها ممر صغير (كردور صغير) وأما الغرفة الثالثة فقد كانت فى الناحية الشمالية من الساحة أمام البرج الشمالى ، ولاتزال هناك أجزاء من قبوها الذى كان يعلوها وتبلغ أطوال هذه الغرفة ٤٫٧٥ × ٦ مترا ، ويوجد فى الجهة الشمالية منها باب يؤدى إلى الطابق الأول من الجدار الواقع فى الزواية الشمالية من الحصن وتقوم فى الجدار الشرقى لهذه المساحة ثلاث فتحات للسهام مرممة .

البرج الشمالى الشرقى :

يدخل إلى هذا البرج من جهته الجنوبية وإلى يمين هذا المدخل من خارج البرج ، فى المساحة ، يوجد بئر ماء ، فوهته مربعة الشكل ٧٠٫٧٠ سنتيمترا ، وربما تكون هناك علاقة بين هذا البرج وبين الجدار الاستنادى القائم فى الزواية الشرقية للبرج ، ويزيد هذا الجدار الاستنادى الحاجز الصخرى بين البئر والخندق مناعة ، وبذلك يحول دون تسرب المياه من أى منهما إلى الآخر [٤٥] شكل (٩ ــ ١٠) .

ويبلغ عرض الباب المؤدى لهذا البرج تسعين سنتيمترا بارتفاع قدره ٢٢٠ سنتيمترا فى حين أن سمك الجدار يبلغ ٢٧٥ سنتيمترا ، أما البرج الداخل فهو أصغر من البرج الموجود عند المدخل ، اذ تبلغ أطواله ٣٢٠ × ٤٥٠ سنتيمترا ، ويتشابه بناء هذا البرج مع نظام البرج الملاصق للمدخل من حيث المادة البنائية وطراز البناء ، والقبو النصف اسطوانى الذى يغطى السقف ، ويلاحظ أن لكلا البرجين الشرقى والشمالى فتحة واحدة ضيقة طويلة يبلغ طولها ١٣٠سم وعرضها ١٠سم ، ويبلغ سمك الجدار فى هذا البرج نحو ٢٨٥سم ويلاحظ ان فتحات رمى السهام السابقة تغطى من حيث مجال الرمى زاوية الخندق الشمالية والشرقية ، ويغطى الطابق الأول من البرج قبو يتخلله فى الوسط فتحة كما فى البرج السابق ووظيفة هذه الفتحة الانارة والتهوية والاتصال السريع بين جنود الطابقين .

ويلاحظ أن هذا البرج على الرغم من ارتفاعه فوق مستوى الطابق الأول بنحو عشرة أمتار وبالرغم من وجود نوافذ ، إلا أنه لا يوجد به أرضيات لغرف تعلو الطابق الأول مما يجعل الانسان يعتقد بأنه ربما كان الغرض الأساسى من هذا البرج هو خدمة الحمام الزاجل .

واذا تركنا الجزء الخاص بالساحة الشرقية وهو الجزء الواقع على يمين نهاية المدخل تبقى لنا الجزء الغربى أى الواقع على يسار نهاية المدخل ، تدخل إلى هذا الجزء من باب عرضه ١٣٠سم ، وارتفاعه ٢٢٠سم ، وتبلغ أطوال هذا المدخل ٥٫٦٠ × ٤٫٣٥ ويتخلله عشر درجات وطول كل درجة بعرض الممر ، وهذه الدرجات مختلفة الارتفاع ويبلغ ارتفاعها فى المتوسط حوالى ٣٥ سنتيمترا تقريبا ويؤدى هذا الدرج شمالا إلى الطابق الثانى فى القلعة من خلال انعطافه عند نهايته نحو اليسار ، ويؤدى هذا الدرج إلى مكان كان يستعمل كمستودع (مخازن) .

المستودع (المخازن) :

يدخل إلى هذا المستودع بواسطة باب يبلغ ارتفاعه مترين ونصف المتر ، وهو يتألف من عقدين يفصل بينهما فراغ يقدر بنصف متر .

أما المستودع من الداخل فيبلغ طوله ٣٩٫٢٠ مترا . بداخله حاجز فاصل يبلغ طوله ٢٧٫٢٠ متر وعرضه غير متساو ، اذ يتراوح ما بين ثلاثة إلى خمسة أمتار ، وربما كان السبب فى ذلك يرجع إلى أن الجدار الشمالى لهذا المستودع يرتكز فوق الصخر الطبيعى وبالتالى فان ارتفاع هذا الصخر الطبيعى ليس واحدا فى كل المواقع ويحتوى الجدار الجنوبى لهذا المستودع على بابين يؤديان إلى القاعة الملاصقة للجدار الجنوبى للقلعة ، ويحول الردم الكثير دون الدخول إلى هذه القاعة التى يبلغ طولها طول المستودع .

البرج الجنوبى للحصن :

يدخل إلى هذا البرج من خلال ممر يوجد فى جداره الغربى . ويبلغ عرض هذا المدخل ٩٠سم ، وارتفاعه نحو ١٨٠سم ، وسمك جداره ١١٠سم ، وعند الدخول إلى هذا البرج يلاحظ أن أرضيات البرج منخفضة عن مستوى الباب ، وينزل إليها بواسطة أربع درجات طول الدرجة الواحدة ٩٠سم وارتفاعها ٢٢سم والبرج نفسه يتألف من جزئين ، غربى وجزء شرقى يفصل بينهما جدار يتخلله مدخل يصلهما معا [٤٦] .

والقسم الشرقى من البرج مستطيل التخطيط تبلغ أبعاده ١٦٫٩٠م طولا وعرضه نحو ٤٫٨٠م وأرضية هذا القسم من البرج مرممة بالأسمنت ، ويتألف الجدار الغربى من خمسة مداميك حجرية ، والجزء الشرقى من أربعة مداميك حجرية ، يبلغ ارتفاعها مترين وستون سنتيمترا ويعلوها

قبو برميلى حجارته ذات لون أسود رصعت بجانب بعضها البعض بشكل متناسق ، ونشاهد فى السقف فتحتان دائريتان بقطر ٢٠سم .

وفى الجدار الشرقى توجد غرفتان مساحة الغرفة الواحدة ٣٠٠ × ٢٤٠سم ، وأرضية كل غرفة ترتفع عن أرضية هذا القسم من البرج بنحو ٦٠ سنتيمترا ويعلوها عقد ارتفاعه ٥٠سم ، وتسيطر فتحات السهام من هذه الغرفة على الزاوية الجنوبية لمدخل الحصن وعلى الجزء الشرقى من الخندق ، أما فيما يتعلق بالغرفة الجنوبية فأنها تحتوى على نافذة تبلغ أبعادها من الخارج ٢١ر١م ، ومن الداخل ٢٠ر١ × ١٠ر٢م ويعلوها فتحة على هيئة قوس ارتفاعه خمسون سنتيمترا ، ويعلوها من الخارج نقش كتابى يعود إلى فترة حكم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز ١٢٥٠ — ١٢٦٠م .

والملاحظ أن مجال الرؤية من هذه الغرفة يشمل الواجهة الشرقية للحصن ، وكذلك ساحة الخزان ، كما يمكن منها مراقبة مدخل الحصن أيضا .

وفى الجدار الجنوبى لهذا القسم توجد غرفة مماثلة للغرفتين الواقعتين فى الجدار الشرقى وتحتوى هذه الغرفة على فتحة سهام ارتفاعها ١٢٠سم ، وعرضها ١٠سم وقد أجريت بها أعمال ترميم مبكرة أدت إلى تضييق فتحة خروج السهام ، وفى الجدار الغربى من هذا القسم يوجد باب يؤدى إلى القسم الغربى منه ويبلغ عرض هذا الباب متران وارتفاعه ١٨٠سم ، وطراز بناء هذا الجزء من البرج لا يختلف عن القسم الشرقى من البرج ، يتخلله فى جداره الجنوبى فتحة سهام ضمن مطابقة للغرفة الموجودة فى نفس الجدار من القسم الشرقى المجاور .

وهناك ملاحظة عامة وهى أن فتحات خروج السهام فى هذا البرج بدت مختلفة عن البرجين الواقعين فى الجهة الشرقية من القلعة ، فطول السهام إلى أعلى نحو ١٢٠سم فى حين أنه فى البرجين الواقعين فى الجهة الشرقية من القلعة ٢٥٠سم ، وكذلك نلاحظ الاختلاف فى نحت الحجر الذى يبدو هناك أكثر جمالا ، وأصبحت الفتحات الخاصة بالسهام تبنى داخل غرف يزين واجهتها الداخلية عقد من الحجارة ارتفاعه يزيد عن الخمسين سنتيمترا ، وهو يهيىء وضعا جيدا للمدافعين أثناء الدفاع .

الطابق الثانى : (أنظر أشكال ١٤ ، ١٥ ، ١٦)

يصعد الانسان إلى الطابق الثانى من القلعة عن طريق درج فى الممر (أشكال ١١ ، ١٢ ، ١٣) وعند الصعود إلى أعلى نصل إلى الجزء القائم مباشرة أعلى هذا الممر فى الطابق العلوى . ومساحة هذا الجزء تبلغ نحو ٨ × ٣م ، وفى الجهة الشرقية يوجد باب يؤدى إلى القاعة رقم (١٤ فى المسقط الأفقى شكل ١٥) ويوجد فى هذا الممر بابان الأول فى الزاوية الشمالية الشرقية

ويؤدى إلى قاعة (رقم ٩ على المسقط الأفقى) والثانى فى الجهة الغربية ويؤدى إلى الساحة والقاعة (رقم ١٦ المسقط شكل ١٥)

واذا حاولنا وصف القاعة الأولى (رقم ١٤ على المسقط الأفقى) نجد أن مدخلها يقع فى جدارها الغربى ويفتح هذا المدخل على الممر (رقم ١٥ على المسقط الأفقى) ويبلغ عرض المدخل ١١٠سم ، وارتفاعه ٢٢٠سم ، وفى أعلاه يوجد بعض التلف .

وفيما يتعلق بابعاد هذه القاعة (رقم ١٤ على المسقط الأفقى) نجد أن طولها يبلغ ١١ مترا من الشرق إلى الغرب ، وحوالى ٤٩٠سم من الشمال إلى الجنوب .

ويوجد فى جدارها الجنوبى غرفتان أحداهما فى الجهة الغربية وتبلغ أطوالها ٣٧٠ × ٢٩٠سم ، وأرضيتها مرتفعة عن أرضية القاعة بمقدار ٣٥سم ، كما تحتوى على فتحة للسهام يبلغ طولها ١١٥سم وعرضها ١٥سم ، وتسيطر هذه الفتحة على ساحة الخزان فى الزاوية الجنوبية الشرقية وحجارتها منحوتة نحتا ناعما . أما الغرفة الشرقية فى الجدار فتبلغ أطوالها ٣٧٠ × ٢٢٠سم ، ويوجد فى جدارها الجنوبى فاصل على شكل شرفة تطل من خلالها على الممر الذى تصعد منه إلى الطابق الثانى .

ويوجد فى الجدار الشرقى لهذه القاعة باب يؤدى إلى الطابق الثانى من البرج المحازى للمدخل (رقم ٧ على المسقط الأفقى) ويبلغ عرض هذا الباب ٨٥سم وارتفاعه ١٨٠سم ويجد فى الجدار الشمالى باب صغير عرضه ٨٥سم ، وارتفاعه ١٧٠سم ، يؤدى بدوره إلى بقايا سلم يصعد إلى الطابق الثانى ، والثالث ، وأبعاد الدرجة فى هذا السلم ٢٥سم للارتفاع ، ونحو ٢٠سم كعرض للدرجة الواحدة ، وعدد درجات هذا السلم هو ١٢ درجة وأما سقف هذه القاعة فهو على شكل قبو اسطوانى من الحجارة يرتكز على جدارين شمالى وجنوبى ، ارتفاع كل جهة أربعة مداميك حجرية ، ويوجد فى هذا السقف الأسطوانى أربع فتحات مربعة الشكل للانارة والتهوية ، وفى نفس الوقت ربما كانت تستعمل كوسيلة للاتصال بين الجنود فى طوابق الحصن الثلاثة .

الطابق الثانى من البرج : (رقم ٧ شكل ١٥)

يقع مدخل الطابق الثانى لهذا البرج من الجهة الغربية ويبلغ ارتفاع هذا المدخل نحو ٢٤٠سم أما أبعاد هذا الطابق فتبلغ ٧٤٠ × ٧٥٠سم ، يوجد فى الجدار الجنوبى من الجهة الغربية باب يبلغ عرضه ٧٠سم وارتفاعه ١٨٠سم ، يفتح على درج صاعد باتجاه الشرق وعدد الدرجات ١٧ درجة ، ويبلغ طول الدرجة ٧٥سم ، يبلغ عرض الدرجة الواحدة نحو ٧٠سم وارتفاعها ٢٠سم ، ويوجد فى الجدار الجنوبى لهذا الطابق من البرج نافذة تبلغ طولها ٢٢٠سم وارتفاعها ١٤٠سم ، فى حين أنها من الداخل على شكل حنية تبلغ أطوالها ٢٣٠سم × ٢٥٠سم .

أما النافذة الموجودة فى الجدار الشرقى فهى مربعة الشكل تبلغ أبعادها ١٣٠ × ١٣٠ ومن الداخل ٢٣٠ × ٢٠٠سم ، ويعلو كل نافذة من هذه النوافذ فى الجدار الجنوبى والشرقى والشمالى عقد مدبب منحوت من الحجر بشكل متقن .

وفيما يتعلق بالسقف الذى يعلو هذا الطابق فهو على شكل قبو ، ويرى المشاهد ترتيب الأحجار فى هذا السقف بوضوح . كما يوجد فى الجدار الجنوبى لهذا الطابق من البرج نافذة تبلغ أبعادها ٢٢٠سم عرضا ١٤٠سم ، فى حين أنها من الداخل على شكل حنية وتبلغ أطوالها ٢٣٠ × ٢٥٠سم ، وأما النافذة الموجودة فى الجدار الشرقى فهى مربعة الشكل فى جزئها المفتوح ، وتبلغ أبعادها ١٣٠ × ١٣٠سم من الخارج ومن الداخل ٢٣٠ × ٢٠٠سم ، ويعلو كل نافذة من هذه النوافذ فى الجدار الجنوبى والشرقى والشمالى عقد ، والسقف الذى يعلو هذا الطابق على هيئة قبو حجارته مرصوصة بدقة ، ويوجد فى منتصف القبو فتحة مستطيلة الشكل حجم حجارتها مميز عن باقى حجارة السقف .

الطابق الثانى من البرج الجنوبى : (رقم ١٣ على المسقط الأفقى شكل رقم ١٥)

يدخل إلى هذا الطابق من البرج الجنوبى من القاعة (رقم ١٤ شكل ١٥) ويبلغ عرضه ٨٥سم وارتفاعه ١٦٠سم ، ويقع فى الجدار الغربى للقاعة (رقم ١٤ من المسقط الأفقى شكل ١٥) وهذا الطابق عبارة عن قاعة واسعة على شكل حرف « L » وتختلف هذه القاعة عن القاعة السابقة الموجودة فى الطابق الأول فى أن الجدار الفاصل غير موجود . أما أبعادها طول جدارها الشرقى شمالا . وجنوبا نحو ١٦٫٧٠ مترا وعرضه ٥٧٠سم أما الجدار الجنوبى فان طوله غربا وشرقا ١٥٫٨م وعرضه ٦٣٠سم ، ويقع على يمين مدخل هذه القاعة وفى جدارها الشمالى فى الطابق الثانى بحوالى ٣٠سم ، وتبلغ مساحة هذه الغرفة ٣٣٠ × ٢٦٠سم ، ويوجد بداخلها حوض من الحجر طوله حوالى متر وعرضه نحو ٨٠سم ، ولقد عثر على آثار أنابيب فخارية فى الجدار الشمالى لهذه الغرفة ، وتمتد هذه الأنابيب من أعلى إلى أسفل ، ولا يوجد فى هذه الغرفة أية نوافذ أو مزاغل ، وربما كانت الأنابيب الفخارية توصل الماء إلى الحوض الذى يرجح أنه كان يستخدم كحمام لأحد سكان القلعة ، والذى كان هذا البرج مقر اقامته.

ويلاحظ وجود شباك يرتفع حوالى مترين عن أرضية القاعة ، ويبلغ عرض الشباك ١٫٥٠سم وارتفاعه حوالى ١٦سم . وفى الجزء الثانى من هذا الجدار توجد غرفة تبلغ أطوالها ٢٩٠ × ١٨٠م ، وهى صغيرة يتخللها فى الجهة الغربية فتحة سهام ١٣٥سم وعرضها من الداخل ٤٠سم ، ويبدو أن هذا العرض قد نتج عن توسيع فى وقت لاحق ، وترتفع أرضية هذه الغرفة عن أرضية القاعة فى الطابق الثانى بمقدار ٤٠سم ، وتسيطر فتحة السهام فى هذه الغرفة على الزاوية الغربية

من القلعة والخندق ، ويوجد فى الجدار الجنوبى للقاعة غرفتان مساحتهما متساوية ، حيث يبلغ طول عرض ضلع الواحدة منهما ٣ أمتار وترتفع أرضيتها عن أرضية القاعة بمقدار ٤٠سم ، ويوجد فى كل منهما فتحة سهام بارتفاع ١٢٠سم وعرضها ١٠سم .

وفتحة السهام للغرفة الشرقية يسدها من الداخل حجران كبيران فى كل جهة . أما الجدار الشرقى للقاعة التى تؤلف الطابق الثانى من البرج الجنوبى فيحتوى على غرفتين مربعتى الشكل ، وطول ضلع الواحد منهما تبلغ ثلاثة أمتار ، وهى مشابهة للغرف التى فى الجدار الجنوبى ، ويوجد فى الغرفة الجنوبية فتحة للسهام محصورة بين حجرتين يسهل تحريكهما لتتحول فتحة السهام إلى نافذة كما فى غرف الجدار الجنوبى ، أما الغرفة الشمالية فانها تحوى على فتحة للسهام ، ويلاحظ أن أرضية هذه القاعة مرممة ترميما حديثا ، ويرتفع فى جانبيها خمسة مداميك حجرية تحمل القبو الذى يعلو هذه القاعة ، ويلاحظ أن السقف محمول على عقود مدببة ، كما يتخلل سقف أربعة فتحات مربعة الشكل تقوم بوظيفة الانارة والتهوية ، وربما أيضا لتسهيل الاتصال بين طوابق البرج (٤٧) .

القاعة رقم (٩) فى المسقط الأفقى رقم (١٥)

يقع مدخل هذه القاعة فى نهاية الجدار الشرقى للممر رقم (١٥ بالمسقط الأفقى رقم ١٥) والمدخل لهذه القاعة فى حالة سيئة معماريا ومساحة القاعة تبلغ ١٣ مترا شمالا وجنوبا و٥٨٠سم شرقا وغربا ، حيث أن شكلها مستطيل ، ويلاحظ فى الجدار الشرقى وجود قوس واسع فى حالة سيئة ويمكن مشاهدة هذا القوس خارج الخندق فى الجهة الشرقية من الحصن ، وفى الجدار الشمالى من هذه القاعة درج يصعد إلى الطابق الثالث من الحصن والجزء المتبقى من الدرج الأصلى يتألف من خمسة عشرة درجة ويبلغ عرض هذا الدرج ٧٥سم وهذا البرج منحوت من الحجر نحتا ناعما ، وفى جدارها الغربى توجد فتحة للسهام تطل على الممر الذى يقع إلى الغرب من هذه القاعة ، ويبلغ ارتفاعها ١٢٠سم وعرضها ١٠سم ، وكما يوجد فى هذا الجدار بابان آخران فى حالة تهدم تام أحدهما يفتح أيضا على الممر المحازى للقاعة من الغرب والباب الآخر يفتح على الغرفة رقم ١٧ فى المسقط المحازى للبرج الشمالى رقم ٤ فى المسقط رقم ١٥ .

الغرفة رقم ١٨ فى المسقط الأفقى :

تقع هذه الغرفة شمال القاعة رقم ٩ فى المسقط وهى مهدمة ومعالمها غير واضحة على أن بقايا المدخل لازالت موجودة ، وهو يقع فى جدارها الجنوبى عند أسفل السلم الذى يقع عند

الجدار الشمالى من القاعة رقم ٩ بالمسقط ، وهو مهدمة ويلاحظ أن نفس الغرفة فى الطابق الأول تبدو كساحة تقع بين البرجين فى الزاوية الشمالية الشرقية والبرج الأوسط فى الجانب الشمالى رقم (٤) فى المسقط .

الممر رقم (١٦) على المسقط رقم ١٥ :

يعتبر هذا الممر استمرار للممر رقم ١٥ على المسقط ، كما أنه يقع إلى الشمال منه ويفصل بينهما بروز الجدار الجنوبى للممر رقم ١٦ على المسقط ، وهذا الممر مستطيل الشكل تبلغ أطوال جدارنه ١٦م × ٩م ، ويوجد بالجدار الشرقى من هذا الممر فتحة للسهام وهى مغلقة بواسطة أحجار صغيرة بارتفاع ٨٠سم وعرضا ٨سم ، كما يحتوى هذا الجدار على باب يؤدى إلى قاعة ٩ على المسقط ، ويبدو أن هناك بعض الترميمات والصيانة التى أجريت فى أجزاء هذا الممر ، ويبدو ان هناك بابا موجودا بين الممر وغرفة تفصل هذا الممر عن البرج الشمالى .

الغرفة رقم (١٩) على المسقط رقم (١٥) :

يدخل إليها من الممر رقم ١٦ على المسقط ويبدو أن مدخلها كان فى الأصل بوابة تؤدى إلى أجزاء القلعة القائمة فى الجهة الغربية ، ويوجد على جانبى الغرفة فتحات للسهام قائمتان على جانبيها توفران الحماية لها . وهاتان الفتحتان مغلقتان من الخارج جهة الممر ويوجد بكل واحدة منها حنية أرضيتها مرتفعة عن أرضية الغرفة بمقدار ٥٠سم وبصفة عامة فان فتحات السهام هناك من النوع الصغير الذى يبلغ ارتفاعه ٨٠سم وعرضه ٨سم ، ويعلو الفتحة عقد صغير . ونجد أن الحجارة فى هذا الجزء خشنة وأقل اتقانا منها فى المدخل والجهة الشرقية مما يشير إلى وجود تغيرات معمارية بين الفترة التى بنيت فيها القلعة فى عهد عز الدين اسامة سنة ١١٨٤م وبين الفترات التى تم فيها اضافة وترميم وتوسيع القلعة .

وعلى يسار الغرفة السابقة يوجد حجر شكله مميز ويبلغ طوله ٦٠سم وارتفاعه ٤٠سم وعليه نحت يمثل صورة لسيف فى رأسه ينتهى بأكثر من شعبة وفى منتصفه من أعلى نحت درع دائرى على شكل وردة تتدلى من أحدى شعب السيف ، ويلاحظ أن السيف والدرع هما شعار السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وهو شعار موجود أيضا على باب قلعة صلاح الدين فى سيناء [٤٨] وفى الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الغرفة يوجد بئر فوهته دائرية قطرها ٦٠سم وهو منحوت على شكل حبة الكمثرى ، وفى الجدار الغربى يوجد باب واسع بعرض ٤ أمتار وارتفاع يزيد عن ثلاثة أمتار وهو مكمل للممر الصاعد إلى الطابق الثالث الذى يبدأ من الممر رقم ١٥ فى المسقط إلى الممر رقم ١٦ وإلى الغرفة رقم ١٩ على المسقط ومسافة الممر من الجدار الشرقى للممر ١٦ حتى بداية

الطابق الثالث فى نهاية الجدار الغربى للغرفة ١٩ هو ٥٠ر٢٢م ، أما العرض فانه يختلف مع عرض كل انحناء يمر فيه هذا الممر .

وعلى اليسار وقبل الوصول إلى الطابق الثالث يوجد بقايا درج يتكون من ١٢ درجة طول الواحدة ٨٠سم وعرضها ٣٠سم وارتفاعها ٢٥سم ويبدو أنها بقايا لدرج كان يصعد إلى الطابق الثالث . يوجد بقايا أبواب مهدمة تؤدى إلى القاعات فى الجهة الغربية من القلعة .

الطابق الثالث :

يلاحظ أن معظم أجزاء الحصن فى الطابق الثالث مهدمة تهديما واضحا (لوحة ٨ ، ٩) فيما عدا الطابق الثالث من البرج المحازى للمدخل (رقم ٧ على المسقط ١٦) والقاعة رقم ١٤ والقاعة رقم ٩ على المسقط ، ويبدو الطابق الثالث للمشاهد وكأنه ساحة مفتوحة تحوى بقايا بعض الجدران . (أنظر مساقط الأبراج فى الطوابق الثلاثة أشكال ١٧ ـــ ٢٨) .

القاعة ٩ على المسقط رقم ١٩ :

يلتقى الجدار الغربى لهذه القاعة مع الممر رقم ١٦ بالمسقط رقم ١٩ وفى زاويته الشمالية باب يؤدى إلى هذه القاعة يبلغ عرضه ١٥٠سم وارتفاعه ٢ متر ، وهذه القاعة مستطيلة الشكل يبلغ طول ضلعها الشرقى والغربى ١٣ متر ، وجدرانها الشمالية والجنوبية ٥٨٠سم ، وهذه المساحة مطابقة لنفس القاعة التى تحتها مباشرة فى الطابق الثانى ، ويوجد فى جدارها الشمالى جزء من السلم والدرج (لوحة ١٢) الذى يربط الطابقين الثانى والثالث من هذه الجهة حيث نشاهد نحو أحدى عشرة درجة من هذا السلم ، طول الدرجة الواحدة يبلغ نحو ٧٥سم وارتفاعها ٢٥سم ، وفى منتصف الجدار الشرقى قوس عرضه يبلغ نحو ثلاثة أمتار وارتفاعه نحو ستة أمتار ، ويمكن رؤيته من خارج القلعة من الجهة الشرقية ، كما يوجد فى جدارها الجنوبى بقايا درج منهدم يصعد إلى السطح العلوى .

أما السقف فى هذه القاعة فهو شأنه شأن السقوف فى الأجزاء الأخرى من القلعة على شكل قبو نصف اسطوانى ، ويوجد فى هذا السقف أربع فتحات مربعة الشكل للانارة والتهوية وأما فيما يتعلق بأرضية القاعة فهى حديثة الترميم ومزودة بفتحتين يمكن النظر منهما إلى أسفل .

الطابق الثالث من البرج (رقم ٧ على المسقط ١٦) القاعة رقم ١٤ على المسقط ١٦ :

يلاحظ أن الشكل العام لهذه القاعة مستطيل يبلغ طول أضلاعه الشمالى والجنوبى ٢٦

مترا وطول ضلعها الغربى والشرقى ٨ متر ، والجدار الغربى فى هذه القاعة مهدم ، وبذلك يستطيع الانسان مشاهدة الممر الموجود فى الطابق الثانى ويصعد إلى القاعة من خلال درج قائم فى الطابق الثانى من البرج رقم ٧ على المسقط ١٦ والمدخل فى هذه القاعة موجود فى الجدار الجنوبى من الجهة الشرقية . وعلى يمين المدخل يوجد الجدار الشرقى للقاعة الكبيرة ويوجد به نافذة تبلغ عرضها من الخارج ١٢٠سم ويبدو فيها بعض الدمار ، ويبلغ عرض النافذة من الداخل ٢٨٠سم ، كما يحتوى على نافذتين الأولى تبلغ مساحتها ١٠٠ × ٢١٠سم ، والثانية تبلغ ١٣٠ × ٢٢٠سم ويلى النافذتين فى الجهة الغربية من هذا الجدار غرفة صغيرة تبلغ أطوالها ٢٨٠ × ٢٠٠سم وأرضيتها ترتفع عن أرضية القاعة بمقدار ٤٠سم . ويلاحظ أن الجدار الغربى فى هذه القاعة مدمرا تدميرا شديدا ، ويحتوى الجدار الجنوبى تبلغ مساحتها ١٢٠ × ٩٠سم ويوجد فى جدارها الشرقى والغربى حنيتان مساحة الواحدة ١٠٥ × ٥٥سم وبعمق مقداره ٩٠سم ، وربما كانت تستعمل هذه الحنايا لوضع الأغراض الخاصة بالحرس . ومن الملاحظ أن الأرضية فى هذه القاعة مرممة كما تحتوى على ثلاث طاقات غير نافذة ويلاحظ أن جزءا من السقف لازالت آثاره باقية فى الجهة الغربية ، ويتميز بصفة عامة بأحجاره الكبيرة ويلاحظ أن هناك بعض الأجزاء المهدمة فى هذا الطابق فهناك بقايا لغرف وقاعات وأجزاء من جدران ، ويمكن تمييز حجر طوله ١٢٥سم وارتفاعه ٦٠سم ، واعتنت دائرة الآثار العامة بحماية هذا الحجر ، وذلك بوضع شبك حديدى عليه . ويمكن قراءة العبارات الموجودة على هذا الحجر :

السطر الأول : « عمل فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس بن عبد الله الصالحى » .

السطر الثانى : « أعز الله أنصاره بنظر العبد الفقير الراجى عفو الله وغفرانه ملك الأمراء عز الدين » .

السطر الثالث : « أيبك العلائى بتاريخ العشرين من شعبان سنة تسع وخمسين وستماية » .

ومن خلال النص الكتابى الوارد نلتمس عناية الظاهر بيبرس واهتمامه بالقلعة ، كما يوجد بعض بقايا درج عددها ٢١ درجة ، وربما كانت توصل إلى سطح البرج رقم ١ على المسقط ، ويبلغ طول الدرجة ٣ متر وارتفاعها ٢٥سم ، كما يوجد بقايا لنافذة عرضها ١٣٠سم وارتفاعها ٢٢٠سم وحجارتها .

كما يلاحظ أن حجم الحجارة فى هذا الجزء كبير حيث يبلغ طول الحجر الواحد أكثر من ١٠٠سم وارتفاعه نحو ٦٠سم ، كما توجد بقايا نوافذ فى الواجهة الشرقية من هذه القاعة فى هذا البرج .

العلاقة بين عمارة حصن عجلون وبين قلعة الجبل بالقاهرة

يعتبر حصن عجلون من أهم الحصون الإسلامية التى أنشئت فى الفترة الأيوبية سواء من حيث احكام البناء أو من حيث الموقع الاستراتيجى الذى شغله هذا الحصن . واذا حاولنا مقارنة حصن عجلون بالمنشآت الحربية الأيوبية وخاصة قلعة الجبل بالقاهرة .

فمن حيث اختيار الموقع نجد أن موقع حصن عجلون جاء فوق شعاب كتلة جبلية متاخمة لوادى نهر الأردن من الشرق ، وعلى وجه التحديد فوق نهر صخرى بارتفاع يزيد عن ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر (٥٠) .

بينما نجد أن قلعة القاهرة تقع فوق جرف صخرى مرتفع ، يشرق على وادى النيل ، وخلف هذا الجرف يقع جبل المقطم ، والتى قام صلاح الدين الأيوبى بفصل أجزاء الجبل المتصلة بالجرف الصخرى عن طريق انشاء محاجر قطع الأحجار بينها .

ونلاحظ أن موقع حصن عجلون ، كان اختيارا ممتازا ودقيقا نظرا لوجود الحصن على قمة الجبل بالاضافة إلى وجود خندق مائى حول الحصن ، كما يلاحظ أيضا المبالغة فى ارتفاع الأبراج ، أما قلعة الجبل فيلاحظ أن هناك اختلاف فى الآراء حول موقعها ، فهناك من يرى أن الموقع قد أسيء اختياره لأن جبل المقطم يقع خلفه ويشرف عليه ، وبذلك يستطيع أى سلاح من أسلحة القذف رمى القلعة وأصابتها (٥١) . كما نجد أن الأبراج بقلعة الجبل لم يصل ارتفاعها بنفس درجة ارتفاع الأبراج بحصن عجلون ، وربما كان ذلك راجعا إلى أن قلعة الجبل تتصل بما هو محيط بها من مواقع بطريقة طبيعة ، بينما كان حصن عجلون يمثل نقطة حراسة قوية تسيطر وتراقب مساحة كثيرة تطل عليها ولذا كان من الضرورى أن تكون بهذا الارتفاع ، فهى هنا تمثل توسع رأسى وذلك لأن المساحة فوق قمة الجبل محدودة ، بينما بنيت قلعة الجبل بطريقة التوسع أفقيا ، فهى أشبه ما تكون بمدينة فلكية صغيرة موزعة الأبنية فى داخل السور ، كما أن قلعة القاهرة لم تكن مركزا للمراقبة بقدر ما كانت مركزا اداريا هاما ، وذلك لكونها مقر للحاكم ، فهى مجهزة لحماية من يسكنها ، أكثر من كونها مرقب للمراقبة وحماية ما حولها من أماكن ، كما هو الحال فى حصن عجلون ، ولا يعنى هذا أن قلعة القاهرة لم تكن مزودة بأبراج للمراقبة ، بل زودت بهذه الأبراج شأنها فى ذلك شأن كل التحصينات التى تؤدى وظائف مشابهة .

أما من حيث التصميم العام للبناء فنلاحظ أن حصن عجلون وقلعة الجبل بالقاهرة ، لم يتم بنائها وفقا لتصميم معين تبعا لدراسة شاملة للموقع تأخذ فى الاعتبار التوسع المستقبلى ،

فنلاحظ أن حصن عجلون كان لا يحوى محاور متعامدة فهو أقرب للتصميم الرباعى ، ولكن به انحرافات متعددة ، ونفس الأمر نستطيع قوله بالنسبة لقلعة الجبل بالقاهرة والسور المحيط بها (شكل ٢٩) ـــ (شكل ٣٠) على أن تخطيط الأبراج فى قلعة القاهرة من الداخل كان يخضع لتصميم متعامد له محاور واضحة سواء فى الأبراج المستديرة (شكل ١١) أو فى الأبراج المربعة (شكل ٣٢) أو حتى تلك الغير منتظمة (شكل ٣٣) والواقع أن دراسة أى برج فى قلعة القاهرة توضح أنه قد بنى بشكل متكامل ، ونجد أنه محصن فى ذاته، حتى أن كل برج من أبراج قلعة القاهرة يمكن مقارنته بحصن عجلون بكامله.

ونلاحظ أيضا أن التصميم المستدير للأبراج ربما كان يرجع إلى طبيعة الموقع وعلاقته بالأبراج التالية عليه.

ويلاحظ أن حصن عجلون كان يحتوى على درج يمكن الوقوف عليه فى مستويات مختلفة من خلال المزاغل المنتشرة على كل المستويات ، كما أن هذا الدرج يمكن الصعود من خلاله إلى أعلى القلعة للمراقبة أو للتصويب . بينما نجد أن أبراج قلعة الجبل بالقاهرة لها تنظيم متكامل من حيث التصميم المعمارى بما تحويه من قاعات مقنطرة وغرف للرماة ومزاغل . كما نلاحظ أن سمك الجدران فى قلعة الجبل كان أكثر بشكل ملحوظ من سمك الجدران بحصن عجلون ، وربما يرجع ذلك إلى أن أبراج قلعة الجبل كانت تمثل فى ذاتها حصونا صغيرة من الممكن لكل منها الاعتماد على نفسه دون علاقة بالقلعة اذا لزم الأمر .

أما فيما يتعلق بنظام التغطية فنجد أن هناك تشابه كبير فى تغطية الأسقف فى قاعات وغرف حصن عجلون وقلعة الجبل بالقاهرة ، فالأقبية المتعامدة كانت تستعمل فى تغطية القاعات ، مع وجود أعتاب فوق الأبواب على هيئة عقود كانت من السمات المعمارية من غرف وقاعات قلعة الجبل ، أما الأعتاب فقد أستخدمت فوق المداخل على هيئة مستطيلة . ونجد أن استخدام الأعتاب فوق المداخل على هيئة عقد فى حصن عجلون ربما أوجبه الرغبة فى تخفيف الأحمال الكبيرة الناتجة عن الارتفاع الشاهق فى حصن عجلون ، ولذا كان ذلك حلا معماريا أفضل فمن خلال هذه العقود (شكل ٣٤) كان يتم نقل القوى والأحمال باتجاه مائل متسلسل ، أما فى قلعة الجبل بالقاهرة فلم يكن هناك لتوزيع الأحمال ونقلها ، كما نلاحظ أن فتحات التهوية والمزاغل فى حصن عجلون أخذت لنفس السبب أشكال العقود وخاصة ما يتعلق منها بالفتحات المضافة أى تلك التى لم تكن موجودة عند بناء الجزء الأصلى ، أما فتحات التهوية القديمة فى حصن عجلون ، فقد كانت صغيرة وبسيطة ، كما كانت الفتحات الموجودة فى منتصف سقف الحجرات كانت تستخدم للتهوية ، كما لجأ المعمار فى حصن عجلون إلى فتح الوقت ، وكانت هذه

الفتحات فى مستوى أرضيات المكان بينما نجد أن فتحات التهوية فى قلعة الجبل ، وكذلك المزاغل كانت تأخذ مستوى مرتفع عن الأرض .

ونلاحظ أن سمك الجدار فى حصن عجلون وقلعة الجبل كان كافيا لعزل الداخل عن حرارة وبرودة خارج القلاع .

أما فيما يتعلق بمواد البناء فنجد أن كلا المبنيين استفاد من موقعه وبيئته المحيطة به ، فالموقعين كان يتوفر فيهما مواد كلسية وأسمنتية وطينية ، استخدمت كلها كملاط ومونة . ففى قلعة الجبل استخدمت أحجار ذات أحجام صغيرة فى الداخل ، بينما استخدمت أحجار ذات أحجام كبيرة فى الحوائط الخارجية . كذلك وجدنا أن الأساسات فى حصن عجلون كانت من الأحجار الكبيرة التى كانت تتداخل أيضا مع الصخور المقامة عليها الحصن وكانت هذه الأحجار تصغر تدريجيا حتى تصل إلى حجم ثابت خارجيا وداخليا بشكل منتظم . (شكل ٣٣) . كما يلاحظ تدريجيا استخدام الحجر والطوب فى قلعة الجبل ، واستخدام الأخشاب فى بعض المناطق بالقلعة لتقوية العناصر المعمارية . كما استخدم فى بعض أجزاء حصن عجلون وخاصة عند المدخل ويبدو أن كلا من قلعة الجبل وحصن عجلون إستخدم المواد الخام الموجودة فى البيئة المحيطة به ، كما انسجم البنائين مع أسلوب البناء فى كلا من مصر والشام على أن هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهى أن التغطية بواسطة القباب لم نجدها فى حصن عجلون ، بينما شاهدناها فى كثير من غرف قلعة الجبل بالقاهرة ؟ كما أن التصميم الدائرى فى شكل الأبراج لم يستخدم فى قلعة عجلون بينما وجدناه فى قلعة الجبل بالقاهرة أما ما يتعلق بشكل السقاطات والمزاغل فقد تشابهت تقريبا فى كلا البنائين وقد ظهرت أيضا فى كثير من قلاع بلاد الشام مثل قلعة حلب (شكل ٣٦) والملاحظ أن قلعة حلب كانت تتشابه فى كبر المساحة وتراميها مع قلعة الجبل بالقاهرة (شكل ٣٧ ، ٣٨) ، كما ظهر نفس الأسلوب من السقاطات فى أسوار مدينة القدس [٥٣] ، كذلك فى قلعة طرابلس [٥٤] ـــ والواقع أن كبر حجم قلعة الجبل بالمقارنة بحصن عجلون كان أمر طبيعيا ، فقلعة الجبل كانت تمثل مركز الإدارة للدولة الأيوبية ومقر حاكمها ، بينما كان حصن عجلون مرقب حربى اقليمى ، وفى بعض الأوقات استعمل لاقامة حاكم الاقليم .

* * *

بعض نتائج البحث

(١) يلاحظ أن موقع قلعة عجلون لازال يتمتع بأهمية واضحة من الناحية الاستراتيجية وحتى الآن .

(٢) ان جبال المنطقة المحيطة بالقلعة كانت المصدر الأساسى والرئيسى للأحجار التى بنيت بها القلعة ، وبصفة عامة فاننا نستطيع التمييز بين نوعين من الحجارة أحدهما المنحوت نحتا ناعما ، والآخر منحوت بحيث يبدو منه جزء بارز للخارج فى منتصف الحجر من جهة الشمال .

(٣) أخذ جزء كبير من الحجارة التى استخدمت فى بناء القلعة من مبان رومانية ، يستطيع الانسان رؤية هذه الأحجار فى منطقة المدخل .

(٤) يلاحظ أن استعمال الخندق حول القلعة بالاضافة إلى استخدام المدخل المنكسر هى ظاهرة معمارية مألوفة فى الأبنية الحربية الاسلامية .

(٥) بنيت أبراج القلعة وجدرانها الداخلية بطريقة تتيح لسكان القلعة الدفاع عنها والتحصن والاحتماء بها بطريقة ممتازة ، كما ان توزيع مخارج السهام يكفل الجنود فى القلعة السيطرة على مساحة واسعة من الأراضى خارج القلعة .

(٦) حفرت مجموعة من الآبار داخل أسوار القلعة حتى تجمع فيها المياه وتستخدم للشرب فى أوقات الحصار ، وقد عثر على أجزاء من الأنابيب الفخارية التى تمتد من أعلى سطح القلعة إلى مواقع هذه الخزانات أو الآبار .

(٧) أن الملاحظ على كتابات الرحالة الأجانب الذين زاروا القلعة هو محاولة ارجاع الفضل للصليبيين فى معرفة العرب بمثل هذه الأبنية الحربية ، والحق أن القلعة تعكس فترة زمنية طويلة من التراث المعمارى العربى الاسلامى ، فعلى سبيل المثال فى الطابق الأول نجد الأبراج ٤ ، ٢ ، ٧ ، ٨ والقاعة رقم ٩ والممر رقم ١٦ من الطابق الثانى نجدها كلها ترجع إلى فترة عز الدين أسامة فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، ويلاحظ أن هذا البناء يتميز بالثقل والضخامة وفتحات السهام الدقيقة والصغيرة . ثم نلاحظ أن هناك تطور معمارى نلمسه فى الطابقين الثانى والثالث من البرج الثانى من (رقم ٨ على المسقط) وهى تدخل فى اضافات صلاح الدين يوسف سنة ١٢٥٠ ــ ١٢٦٠م ، ٦٤٨ ــ ٦٥٩هـ حيث أصبحت فتحات السهام بارتفاع يتراوح بين ١٣٠ ــ ١٥٠سم أما العرض فيتراوح بين ١٠ ــ ١٢سم ، كما صمم بعض هذه الفتحات على شكل نوافذ .

(٨) راعى المعمار التقليل من حجم الحجارة كلما ارتفع البناء وذلك محاولة منه لتخفيف الضغط على المبنى .

(٩) يبدو أن عملية سكنى القلعة من قبل مجموعات الناس بالمنطقة أثرت على بعض الجدران الداخلية للمبنى ، كما أن الزلزال الذى حدث سنة ١٨٣٧ قد تسبب فى تصدعها وانهيار أجزاء كبيرة منها .

(١٠) تم العثور فى أجزاء كثيرة من القلعة على أحجار عليها نقوش مكتوبة باللغة اليونانية كما عثر بها أيضا على أوان وقطع فخارية تعود إلى فترة الأيوبية والمملوكية ، كما عثر بها أيضا على قطع نقود أثناء هذه العمليات تعود كلها إلى الفترتين الأيوبية والمملوكية .

✡ ✡ ✡

الهوامش

(١) أبو شامة، كتاب الروضتين ج١ ص١٩٢ ش١٥ .
بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ترجمة د. أحمد فراج ــ القاهرة ١٩٣٤ ص٤٤ .
ك، أ. كريزول وصف قلعة الجبل، ترجمة جمال محرز، القاهرة ١٩٧٤ ص١٠ .

(٢) كازانوفا، المرجع السابق ص٤٥ .

(٣) كريزول المرجع السابق ص ١١ .

(٤) غوانمه، التاريخ السياسى لشرق الأردن ص٣٩ .

(٥) غوانمه، المرجع نفسه ص٤٥ .

(٦) ترتفع بقايا هذه القلعة على قمة تل متوسط مدينة السلطة الحالية والتى تبعد نحو ٢٠كم إلى الشمال الغربى من العاصمة عمان . حنان الكردى، القلاع الأثرية فى الأردن ــ عمان ١٩٧٤ ص٢٨ .

(٧) يبدو أن هذه القلعة كانت عامرة ومأهولة عند الفتح الاسلامى، ولكن البناء الحالى بنى فى أواخر أيام الأيوبيين ــ محمود العابدى ــ الآثار الاسلامية فى فلسطين والأردن عمان ١٩٧٣ ص٢١٦ .

(٨) المقريزى، السلوك، ج٢ ص٢٧٢ .

(٩) غوانمه التاريخ السياسى ص٤٥ .
المقريزى، السلوك، ج٢ ص٣٣٥ .

(١٠) غوانمه، المرجع السابق ص٤٥ .

(١١) المقريزى، السلوك، ج١ ص٥٣٤ .
ابى كثير، البداية والنهاية ج١٤ ص٦٩ .
النويرى، نهاية الأرب ج١ ص٢٥١ .

(١٢) النويرى، المصدر السابق .

(١٣) المقريزى، السلوك، ج١ ص٢٧٣ .
المقريزى، السلوك، ج٢ ص٧١ .
أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج٩ ص٥ .

(١٤) ابن خلكان، ط بولاق ١٢٧٥ ج١ ص٦١٢ ــ ١٣ .
ابن اياس بدائع الزهور ج١ ص٧٠ .
ك . أ . كريزول المرجع السابق ص١٥ .

(١٥) المقريزى، السلوك، ج١ ص١١٨ .

(١٦) المقريزى، السلوك، ج١ ص١٢٩ .

(١٧) المقريزى، المصدر نفسه، ج١ ص١٧٤ .

(١٨) Smith: The historical geography of the Holyland, P. 535.

(١٩) غوانمه، التاريخ السياسى لشرق الأردن، ص٢٧ .

(٢٠) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٢٨ .

(٢١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٠ .

(٢٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤ ص١٨١ .

(٢٣) Muller: Castles of Crusades, P. 58.

(٢٤) القلقشندى، صبح الأعشى، ج١٢ ص٣١٤ .

(٢٥) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤ ص٢٠٠ .

(٢٦) القلقشندى، صبح الأعشى، ج١٢ ص١٠ .

(٢٧) المقريزى، السلوك، ج١٢، ص٧٩٥ .

(٢٨) السخاوى، الضوء اللامع، ج٤ ص١٤٣ .

(٢٩) القلقشندى، ج١٠، ص٢٨٢ .

(٣٠) غوانمه، التاريخ الحضارى لشرق الأردن ص٥٢ .

(٣١) ابن أبى أصبعية، عيون الأبناء فى طبقات الأطباء ج٢ ص٢٧٣، ٢٧٤ .

(٣٢) محمود العابدى، آثار الأردن وفلسطين، ص٣٢٥ .

(٣٣) محمود العابدى، المرجع نفسه، ص٢٢٥ .

(٣٤) غوانمه، التاريخ الحضارى لشرق الأردن، ص٢٧٨ .

(٣٥) محمود العابدى، المرجع السابق، ص٢٢٥، ٢٣٠ .

(٣٦) محمود العابدى، المرجع السابق، ص٢٣٠ .

(٣٧) يوسف العلى، منجزات دائرة الآثار العامة لعام ١٩٧٢م.
حولية دائرة الآثار الأردنية رقم ١٧ لسنة ١٩٧٢م.

(٣٨) عدنان الحديدى، منجزات دائرة الآثار العامة ١٩٧٧ — ١٩٨٠م.
حولية دائرة الآثار الأردنية رقم ٢٥ لسنة ١٩٨٠م.
حسين قنديل، الصيانة والترميم، حولية دائرة الآثار العامة العدد الثالث والعشرين لسنة ١٩٧٩م، ص٣٢ .

(٣٩) غازى بيشة، مشاريع الصيانة والترميم، حولية دائرة الآثار العامة، المجلد السادس والعشرين، عمان ١٩٨٢م، ص٨ .

(٤٠) مجلد «عجلون» دائرة الآثار العامة، عمان .

(٤١) المرجع نفسه.

(٤٢) المرجع نفسه.

(٤٣) المرجع نفسه.

(٤٤) Muller, Castles of the Crusades, P. pl. 12-21.

(٤٥) مجلد «عجلون» دائرة الآثار العامة، عمان .

(٤٦) المرجع نفسه.

(٤٧) المرجع نفسه.

(٤٨) المرجع نفسه.

(٤٩) يلاحظ وجود الشعارات الخاصة بالحكام كانت ظاهرة مشتركة فى القلاع الاسلامية والقلاع التى بنيت من قبل الصليبيين فى أماكن مختلفة ، فعلى سبيل المثال نجد أن قلعة فماعوست الموجودة فى قبرص وجد على أحد أبوابها رنك يمثل أسد رافع ساقه الأمامية . أنظر

W. Muller, Op. Cit, pl. 140.

(٥٠) W. Muller, Op. Cit, pl. 74.

(٥١) ك . أ . كريزول (ترجمة جمال محرز) وصف قلعة الجبل ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص١٨ .

(٥٢) W. Muller, Op. Cit, P. 85.

(٥٣) Ibid, pl. 8.

(٥٤) Ibid, pl. 10.

☆ ☆ ☆

المراجع

(١) دائرة الآثار العامة « معلومات عن قلعة عجلون » .

(٢) غوانمه، يوسف درويش ، التاريخ الحضارى لشرق الأردن فى العصر المملوكى ، عمان ١٩٨٢ .

(٣) القلقشندى ، (أحمد أبو العباس) صبح الأعشى ــ القاهرة . ١٩٢٢م ، دار الكتب المصرية ، ١٤ جزء فى ١٤ مجلد .

(٤) كردى حنان ، القلاع الأثرية فى الأردن ، دائرة الآثار العامة .

Boas T.S.R. : Castles and churches of Grusiding Kingdom, London, Oxford University 1967.

Boas T.S.R. : Kingdom and strongholds of the Cruseders, London 1971. Castles of Jordan, Ministry of Tourism and Antiquities.

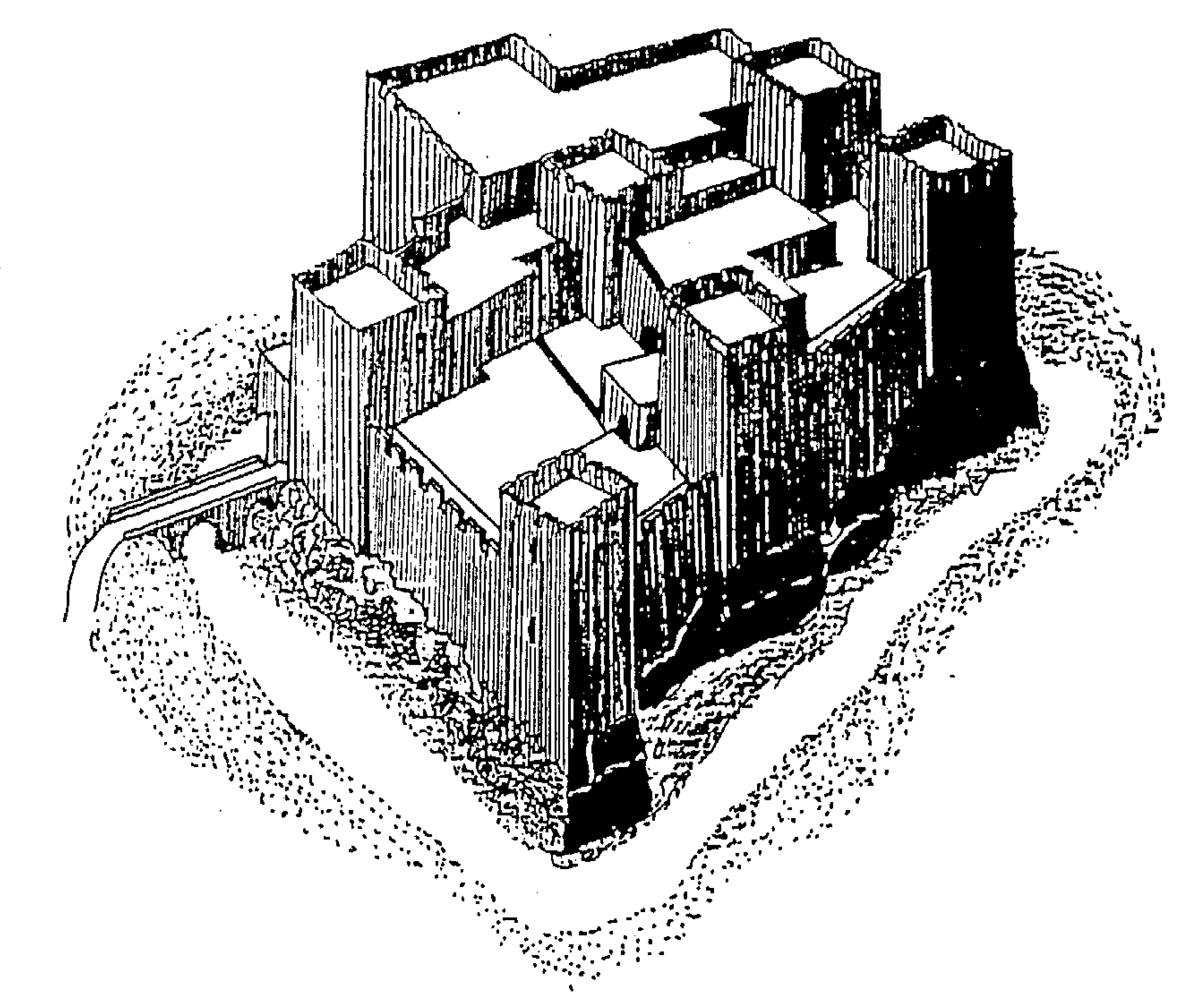
Johns C.N. : Medival Ajlun, London 1931.

Samail R.C. :The Cruders in Syria and the holyland, London 1973.

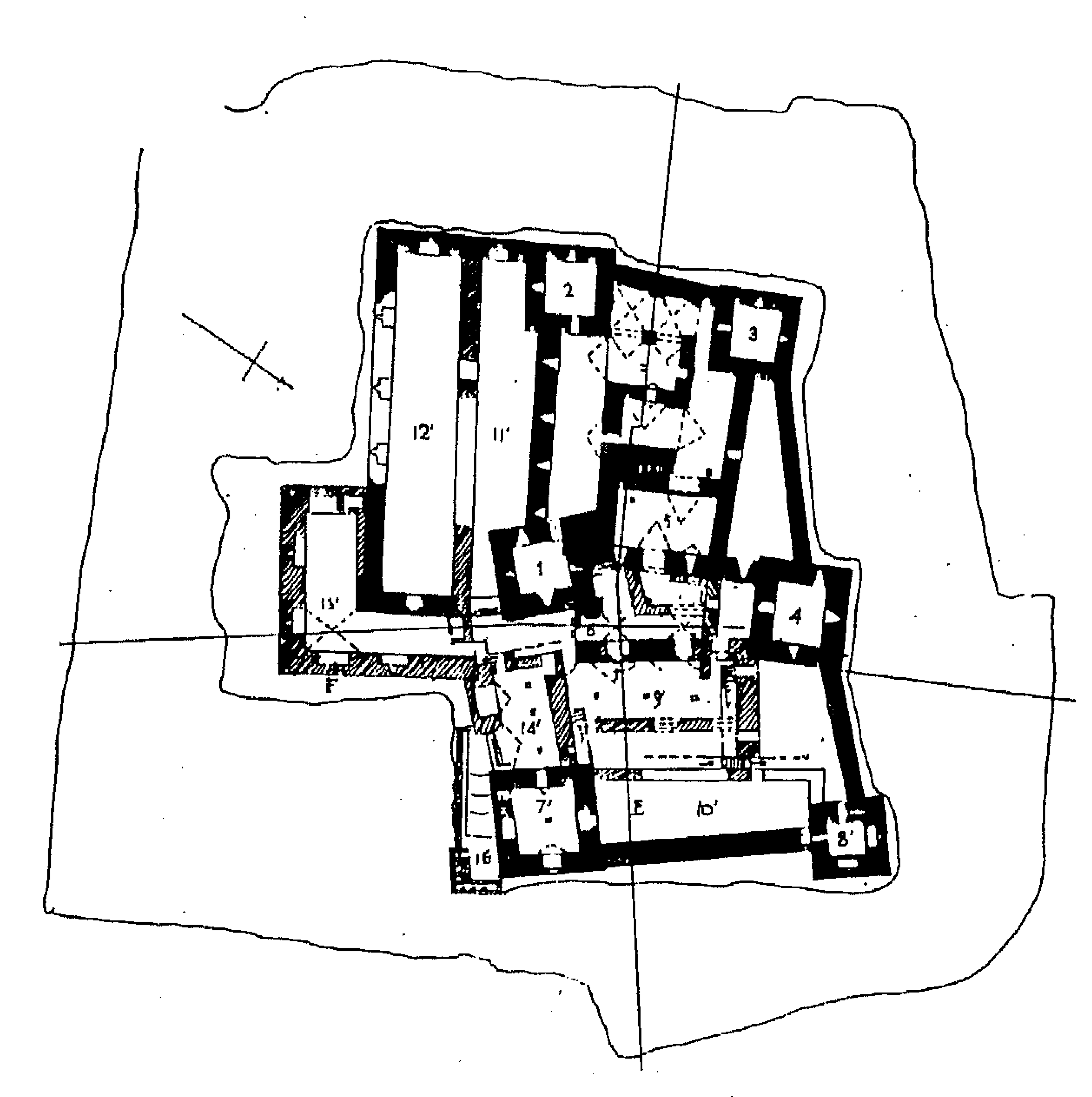
Setton. Kenneth M. : A History of the Crusades. V.I., the University of Wisconsin Press, Wisconsin, 1977.

Stevenson W.D. : The Crusaders in the East. Beirut 1968.

Wolff. Lee Robert : "The Later Crusades" (A History of the Crusades) V.II, Pennsylvania 1958.



شكل (١) إعادة تضور لما كانت عليه أجزاء القلعة .

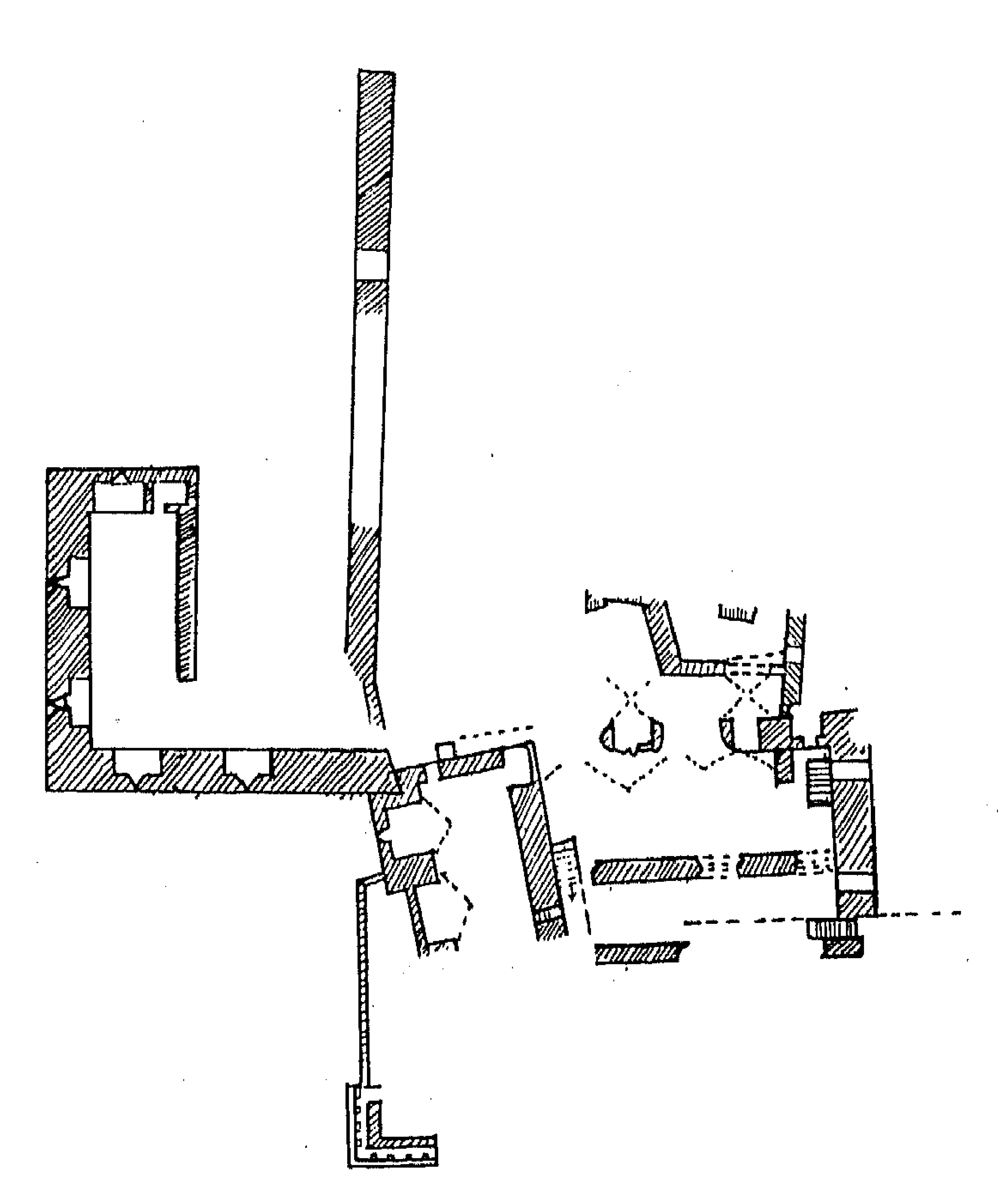


شكل (٢) أجزاء القلعة ما بين عامى ١١٨٤م إلى عامى ١٢١٤م .

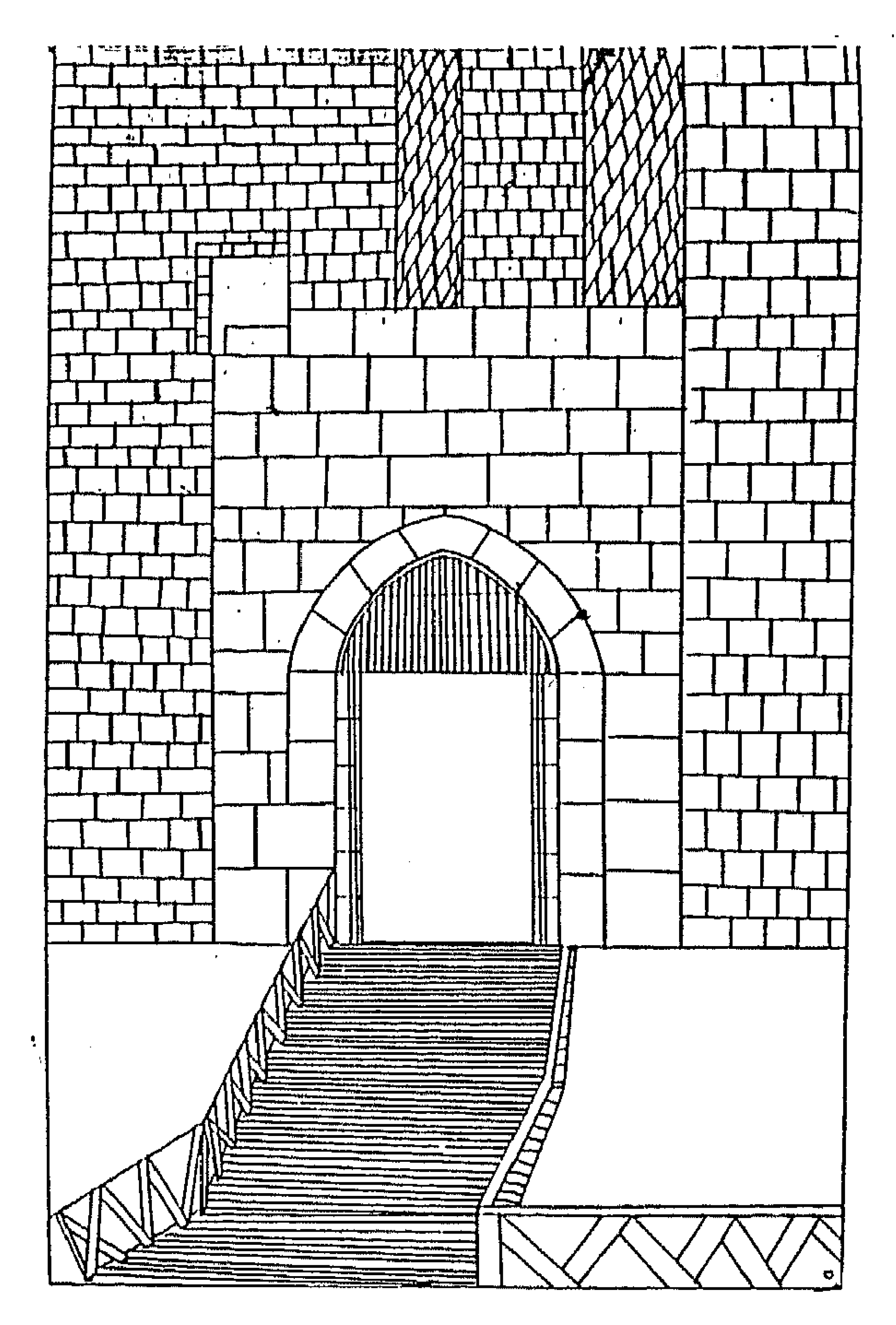
(عن جونز)



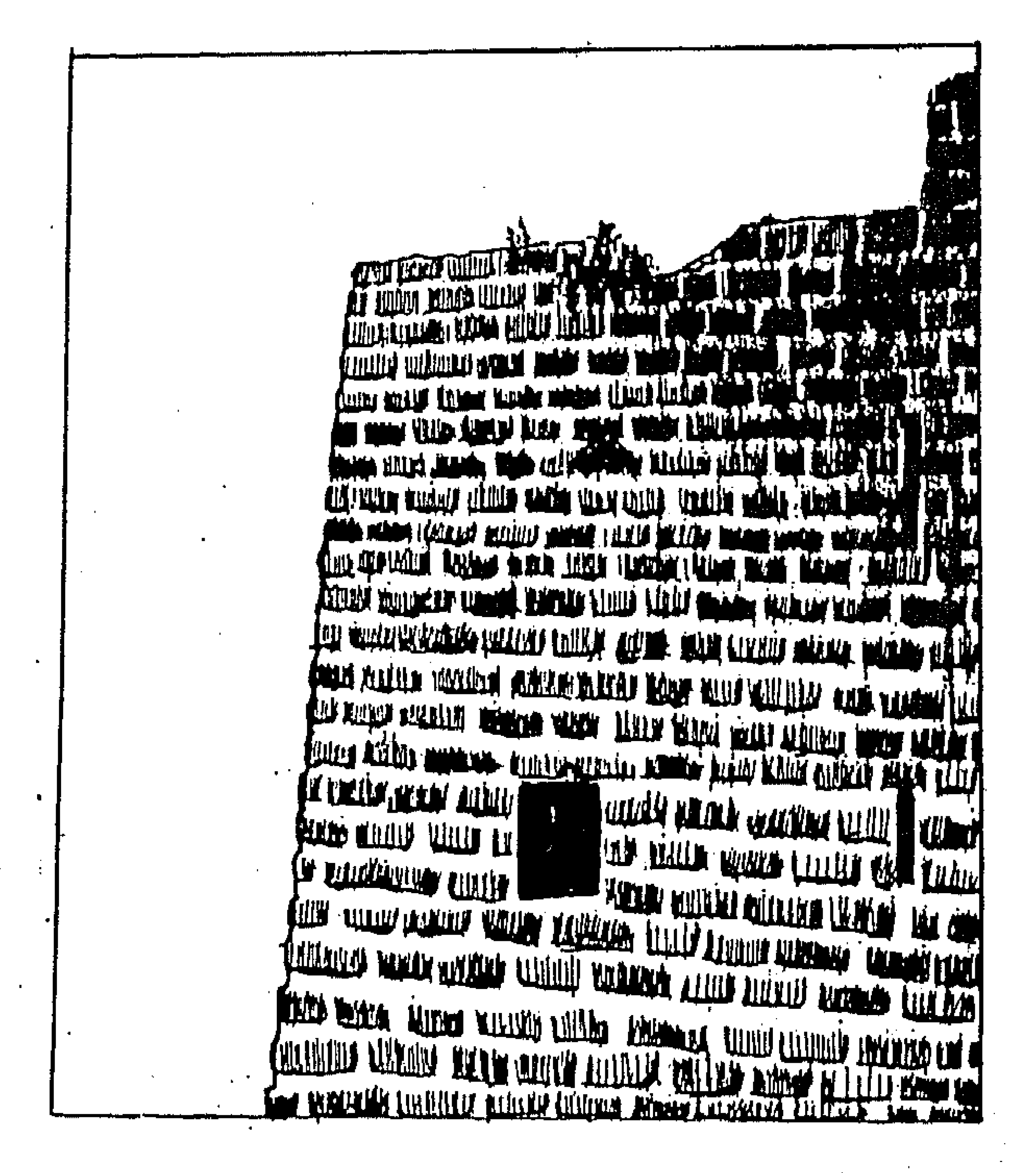
شكل (٣) أجزاء القلعة التى تعود إلى ١١٨٤م.
(عن جونز)



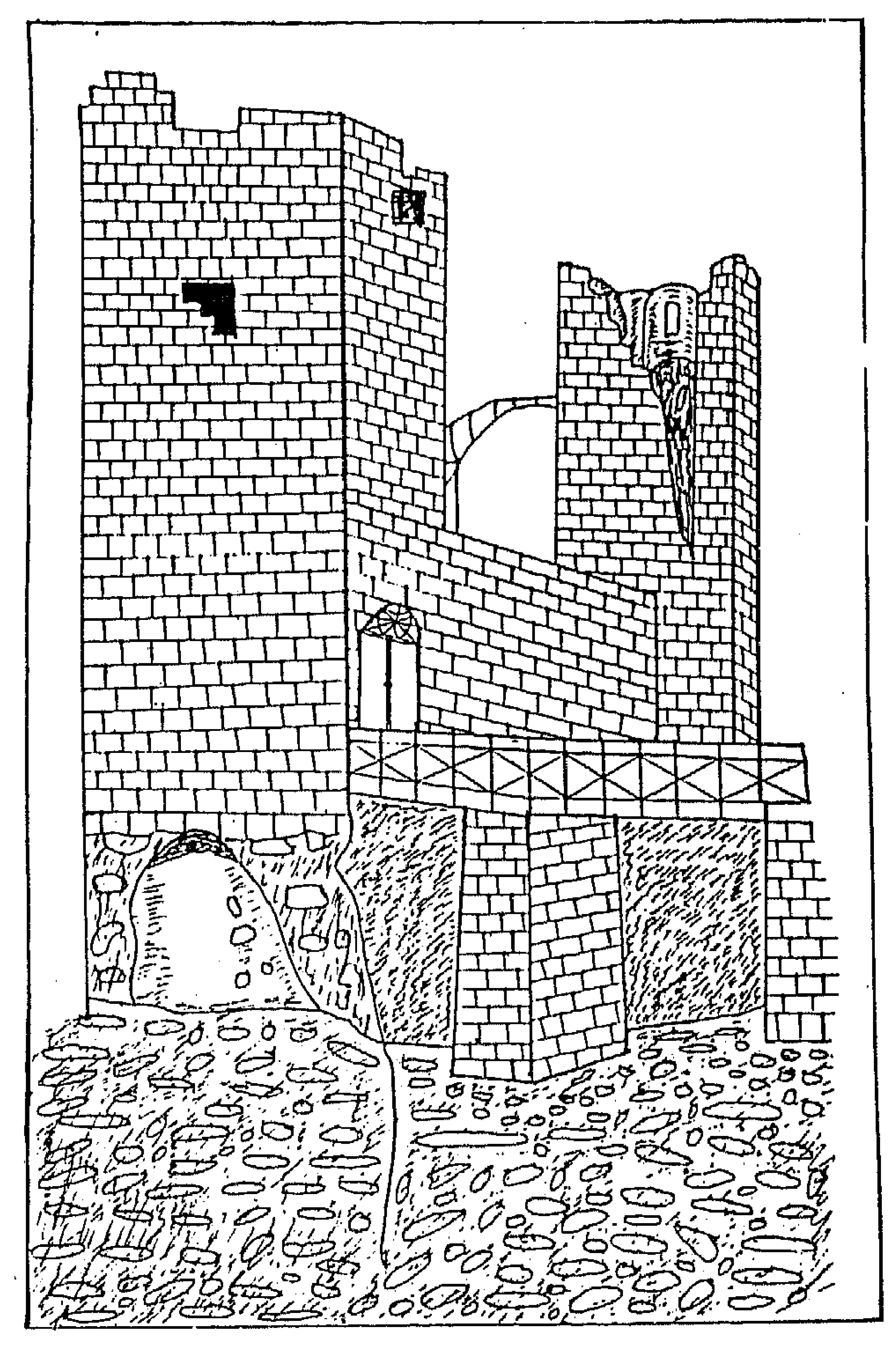
شكل (٤) أجزاء القلعة التى ترجع إلى ١٢١٤.
(من عمل الباحث)



شكل (٥) رسم تخطيطى للمدخل الحالى للقلعة .
(من عمل الباحث)



شكل (٦) البرج رقم (١) على المسقط من الجهة الشرقية .
(من عمل الباحث)



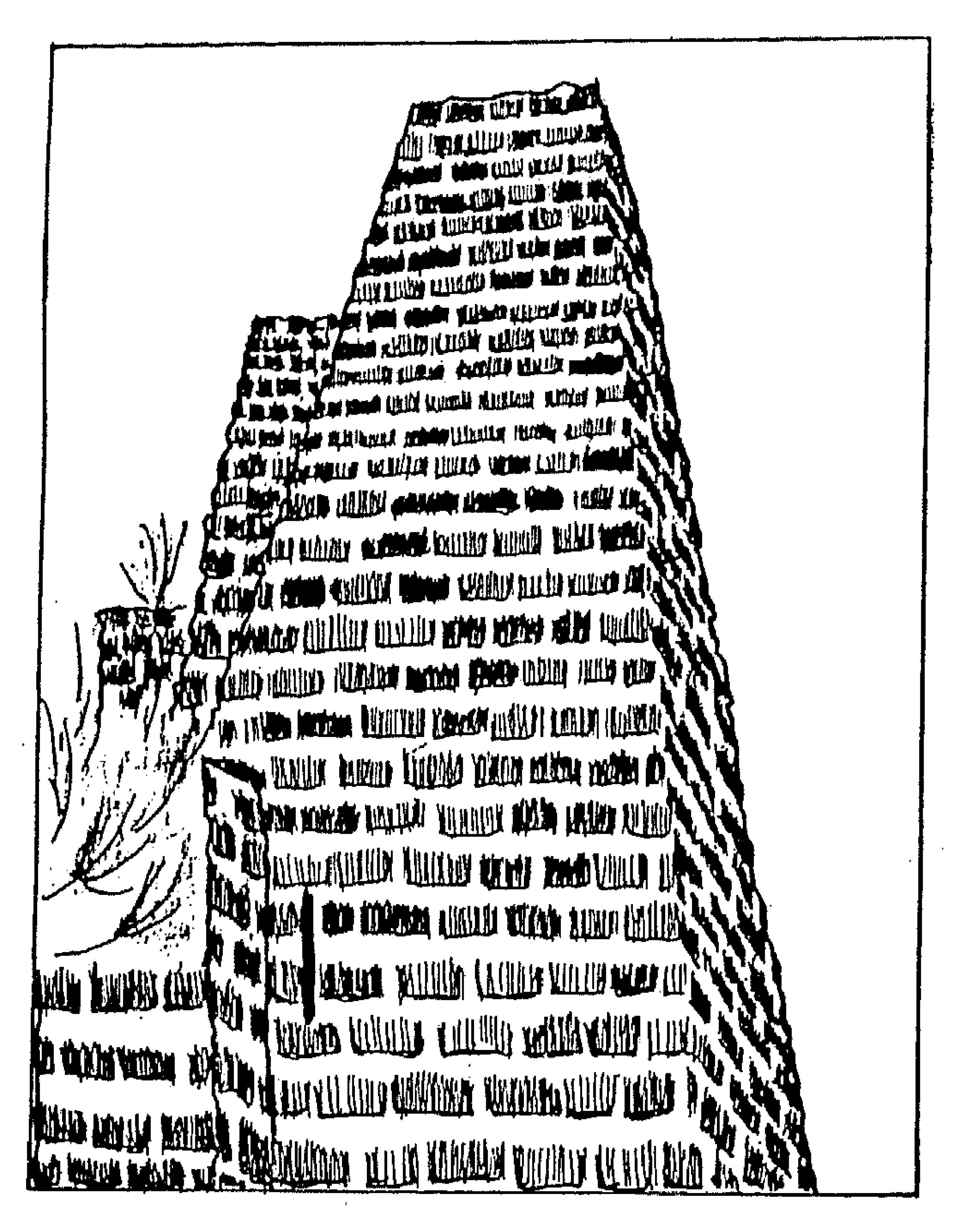
شكل (٧) رسم تخطيطى للكوبرى الخشبى الذى يعلو الخندق ويظهر به واجهة القلعة .

(من عمل الباحث)

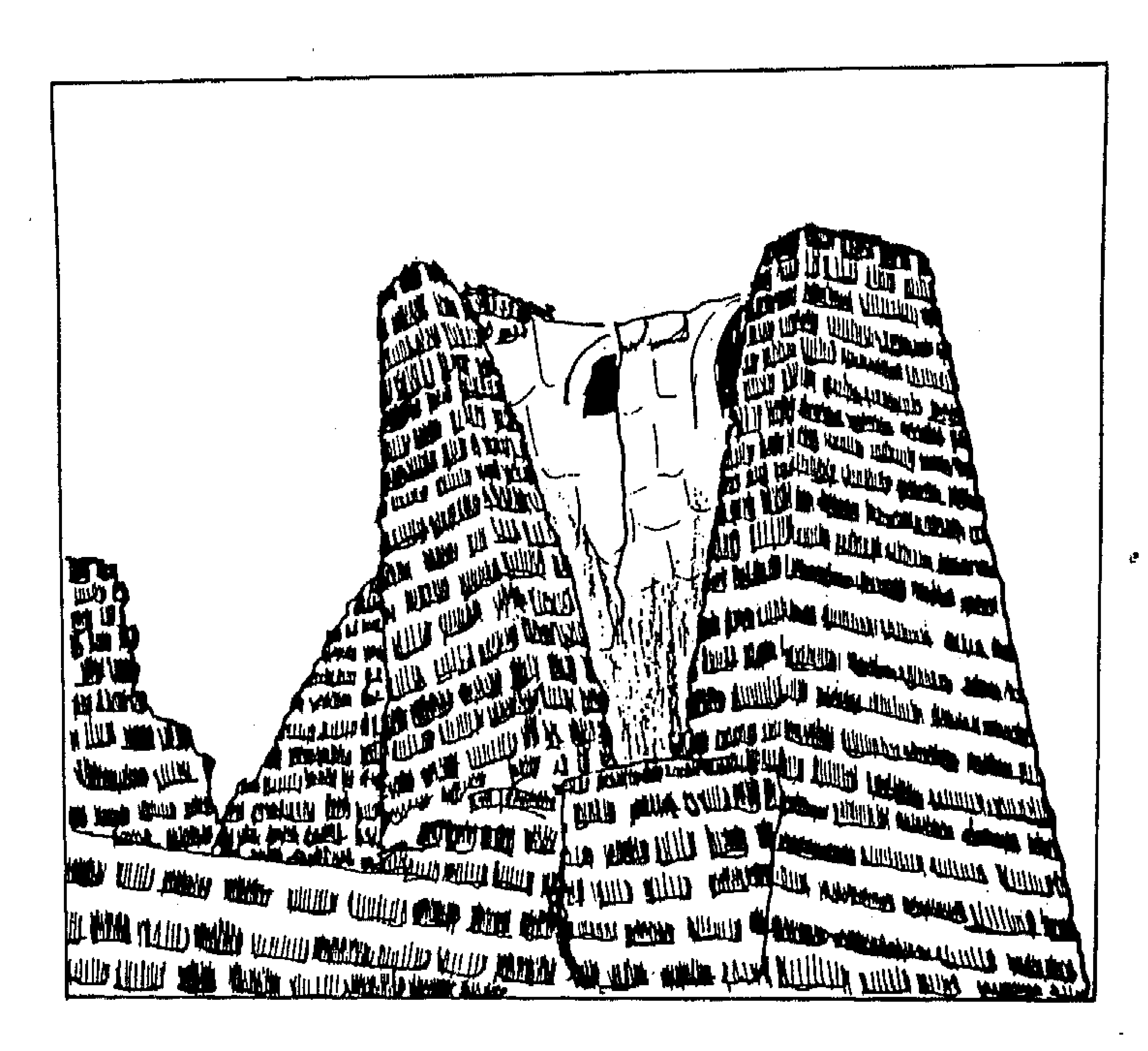


شكل (٨) رسم تخطيطى لأحد المزاغل ويظهر بها من أسفل آثار تهدم .

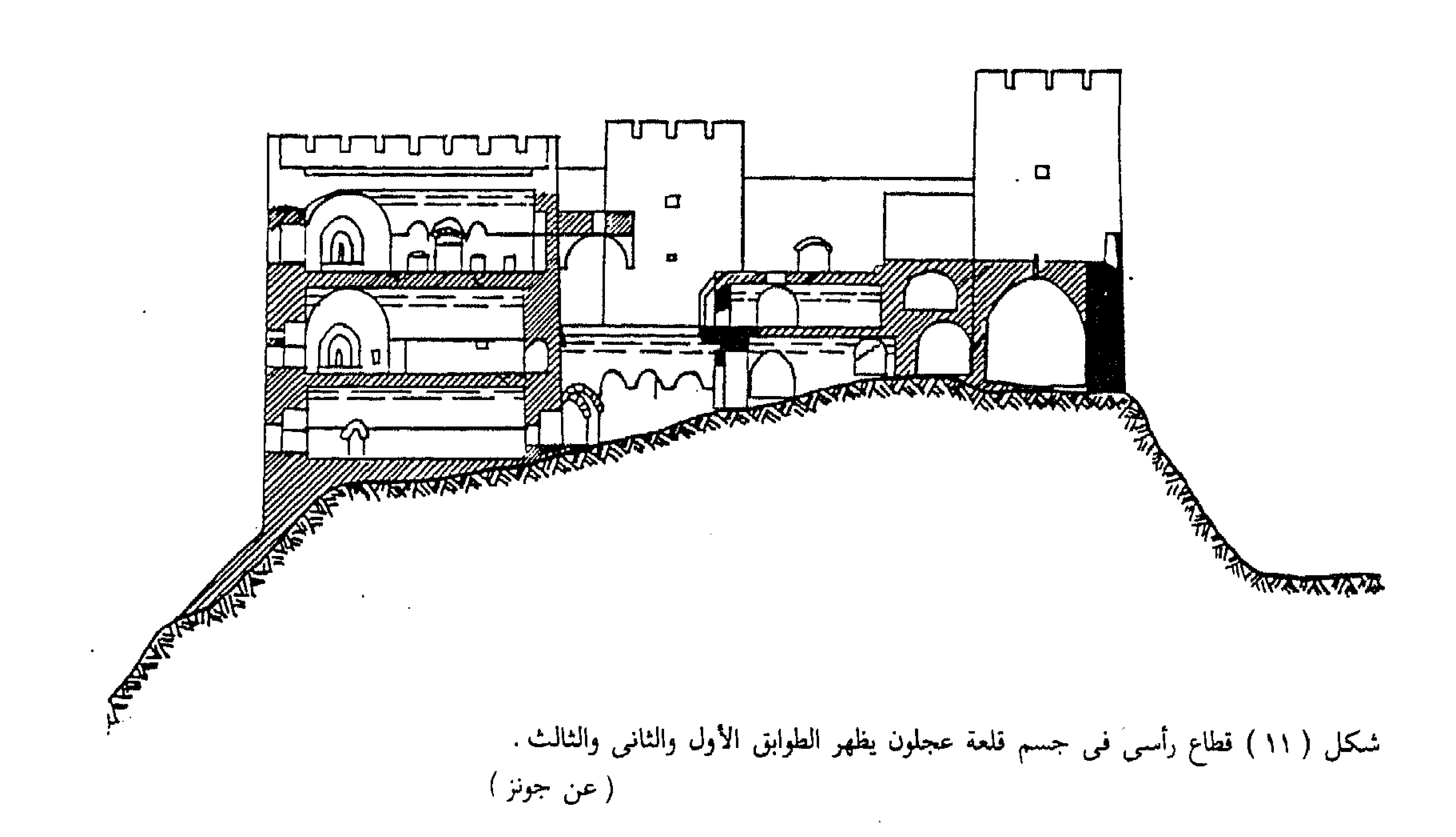
(من عمل الباحث)



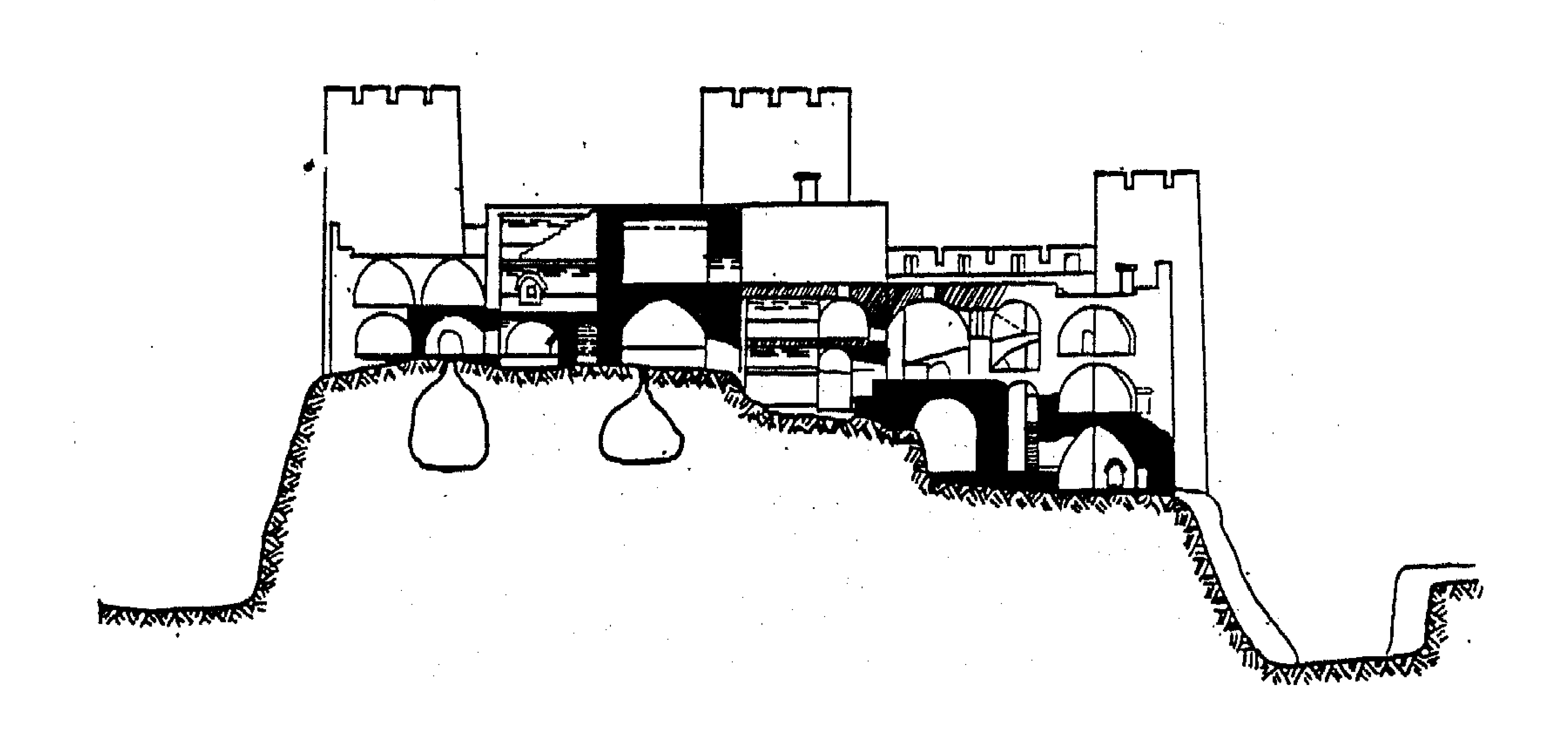
شكل (٩) رسم تخطيطى للبرج الشمالى ويظهر به فتحة المزغل عند مستوى الطابق الثانى.
(من عمل الباحث)



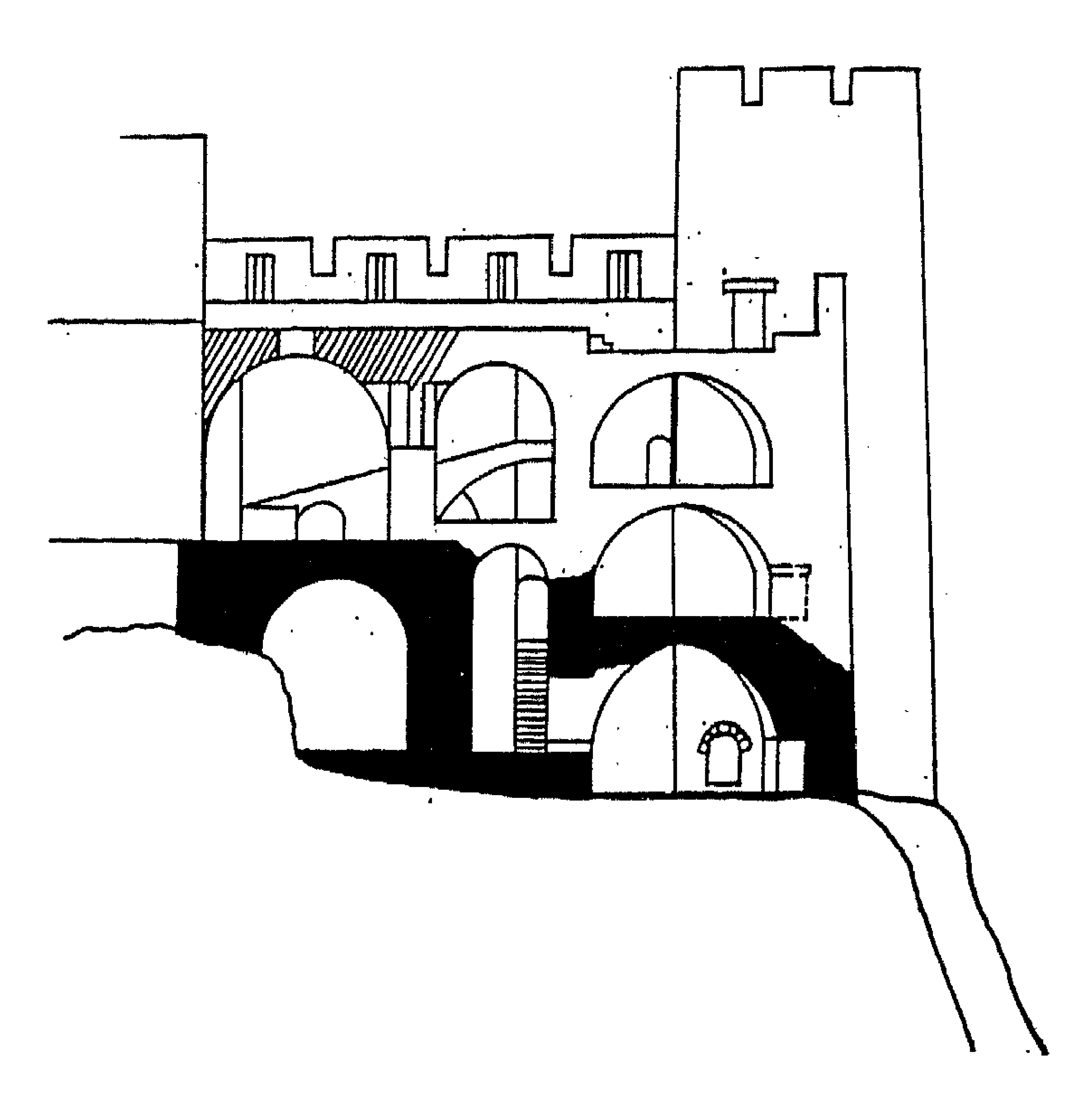
شكل (١٠) آثار التهدم بالبرج السابق (شكل ٩).
(من عمل الباحث)



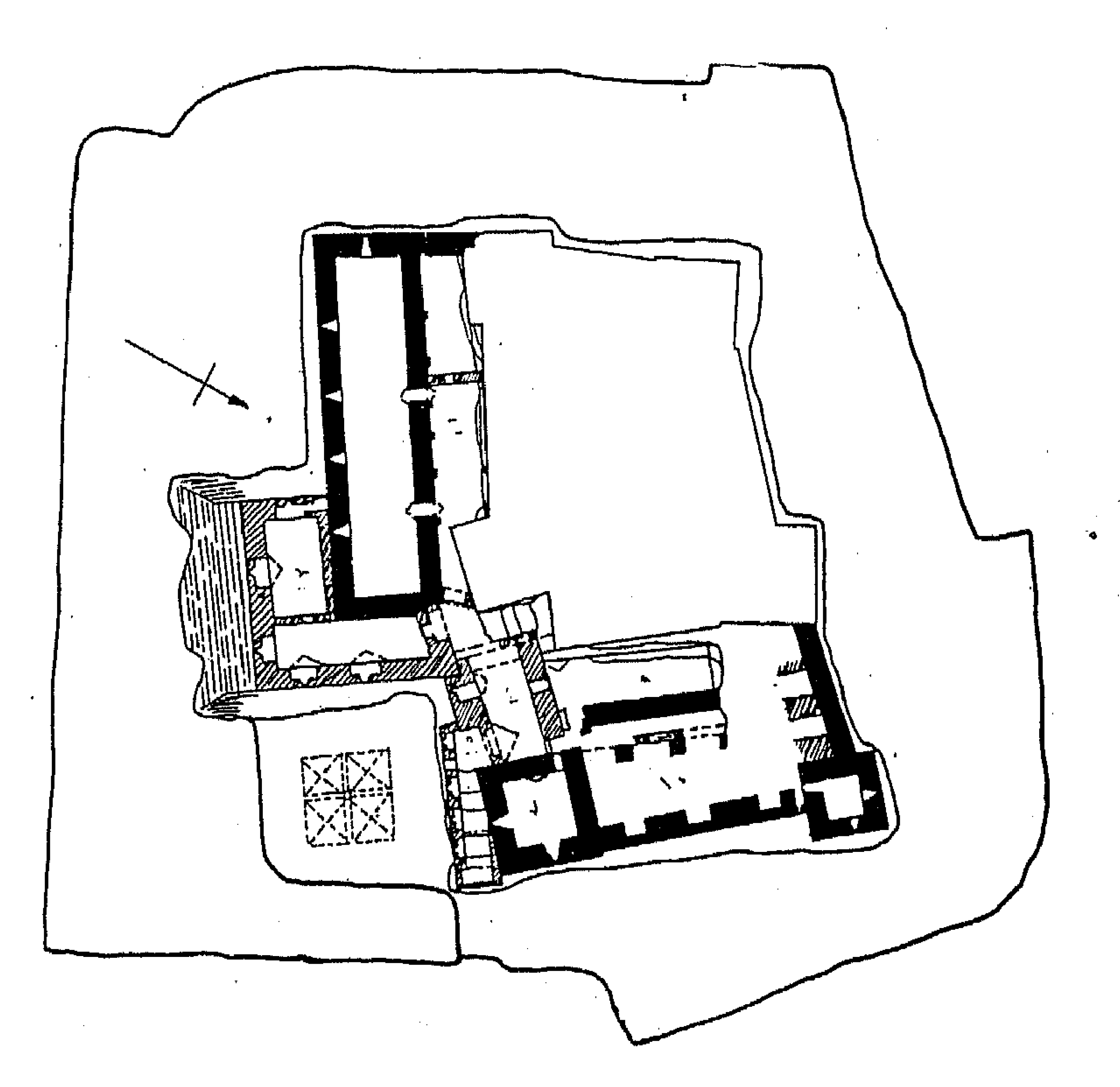
شكل (١١) قطاع رأسى فى جسم قلعة عجلون يظهر الطوابق الأول والثانى والثالث .
(عن جونز)



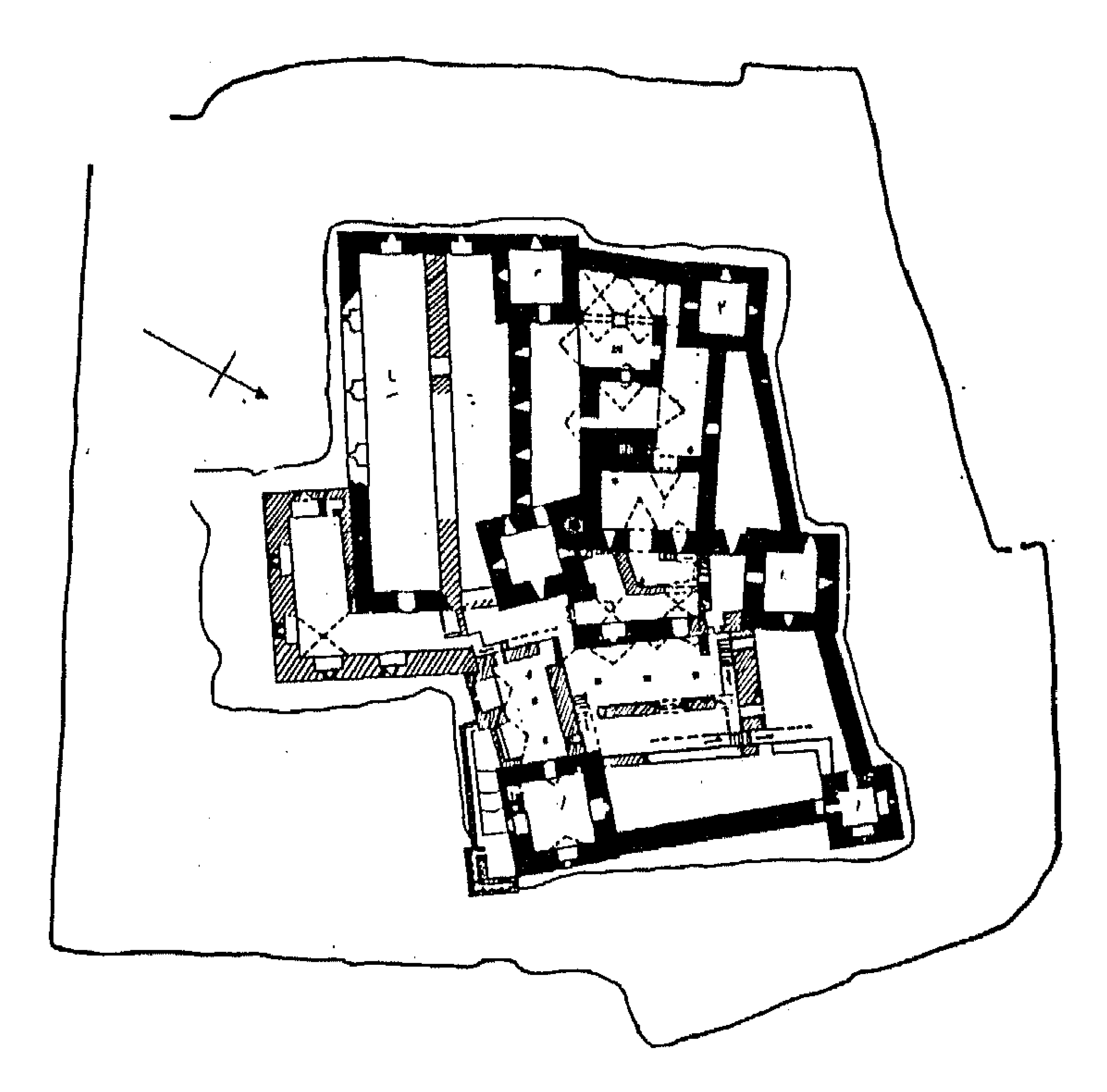
شكل (١٢) قطاع رأسى فى جسم قلعة عجلون من الجهة الثانية .
(عن جونز)



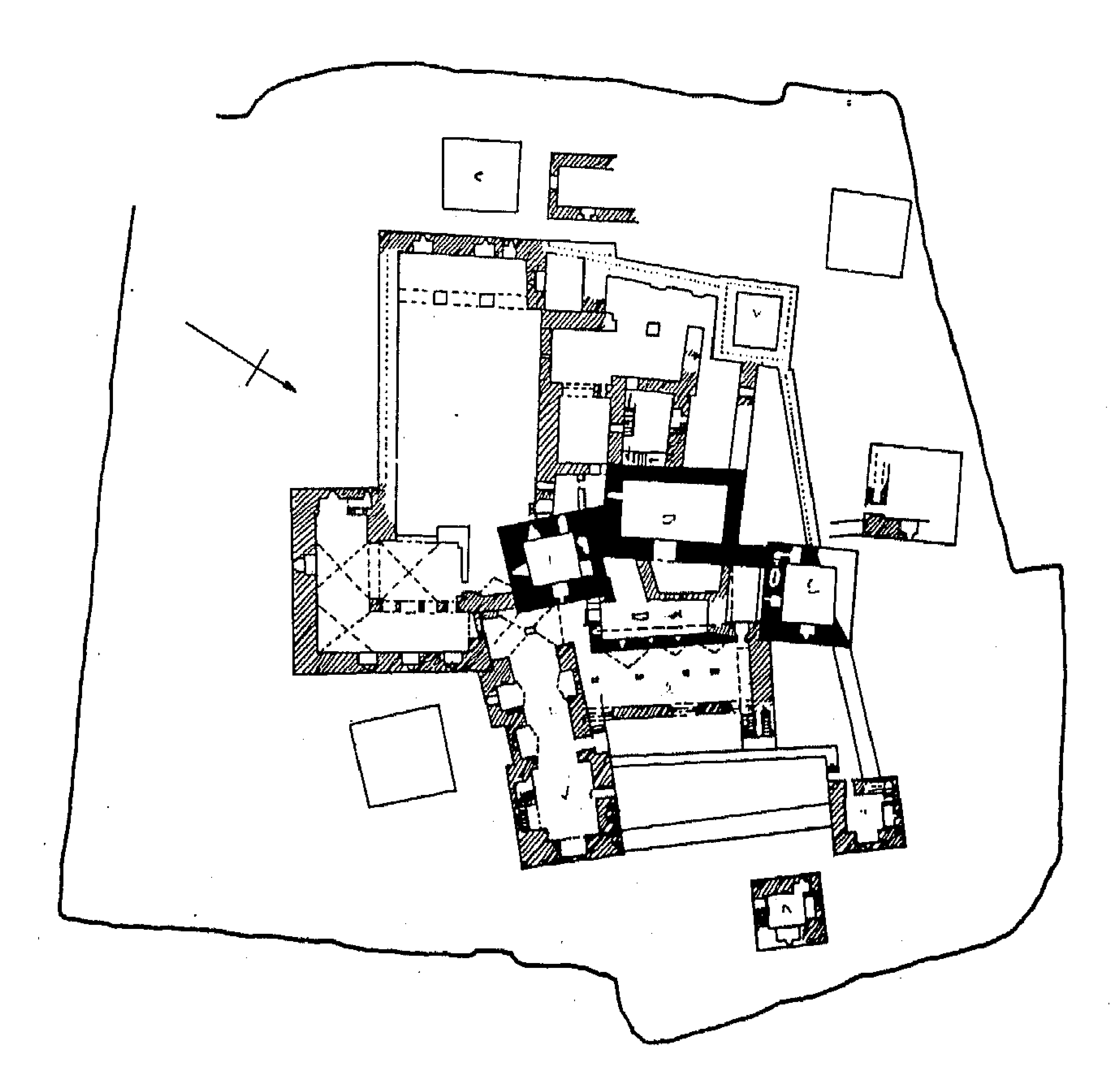
شكل (١٣) قطاع رأسى بالقلعة يوضح القاعات فى الطوابق الثلاث .
(من عمل الباحث)



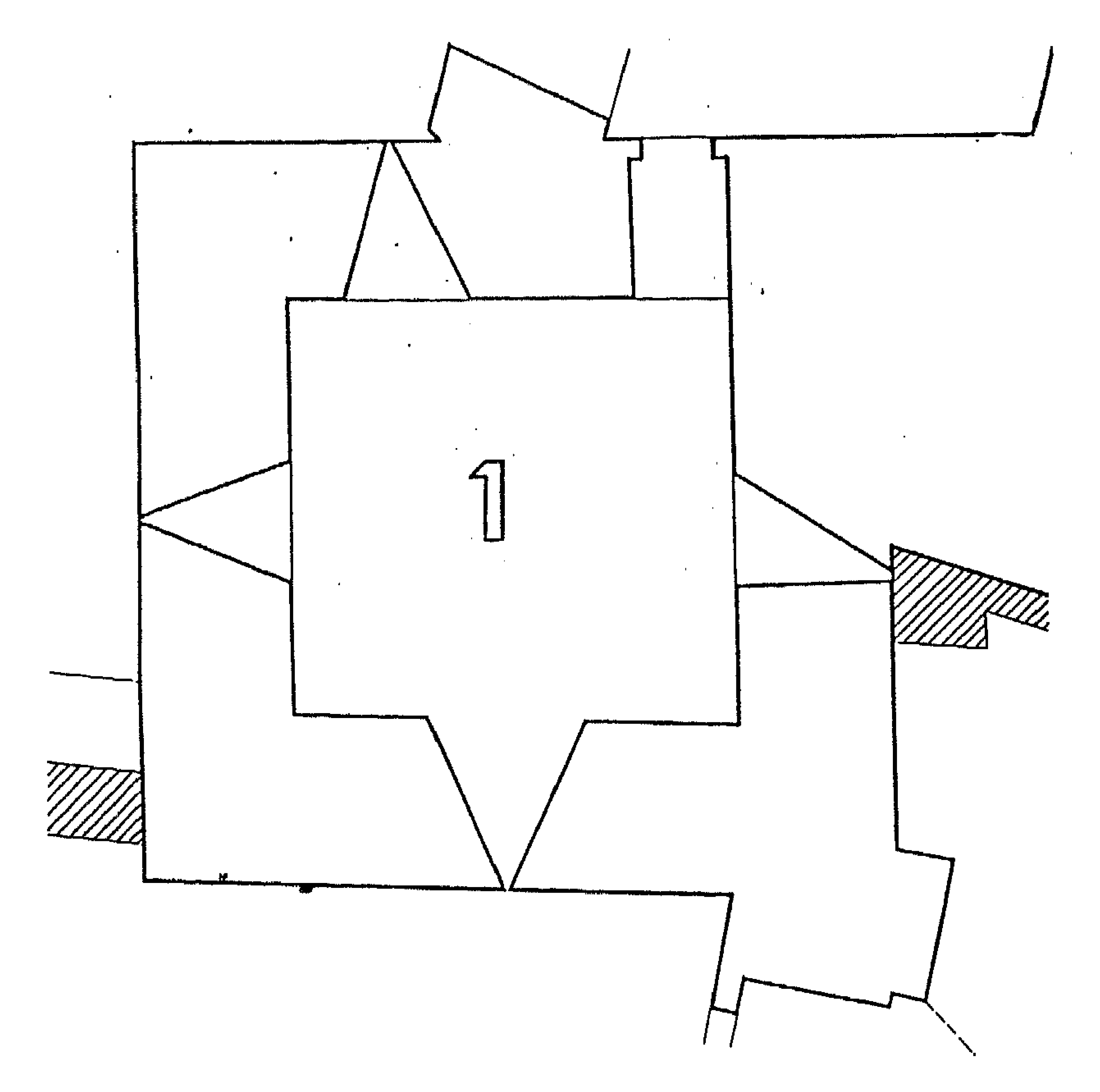
شكل (١٤) مسقط أفقى للطابق الأول .
(عن هاردنج)



شكل (١٥) مسقط أفقى للطابق الثانى .
(عن هاردنج)

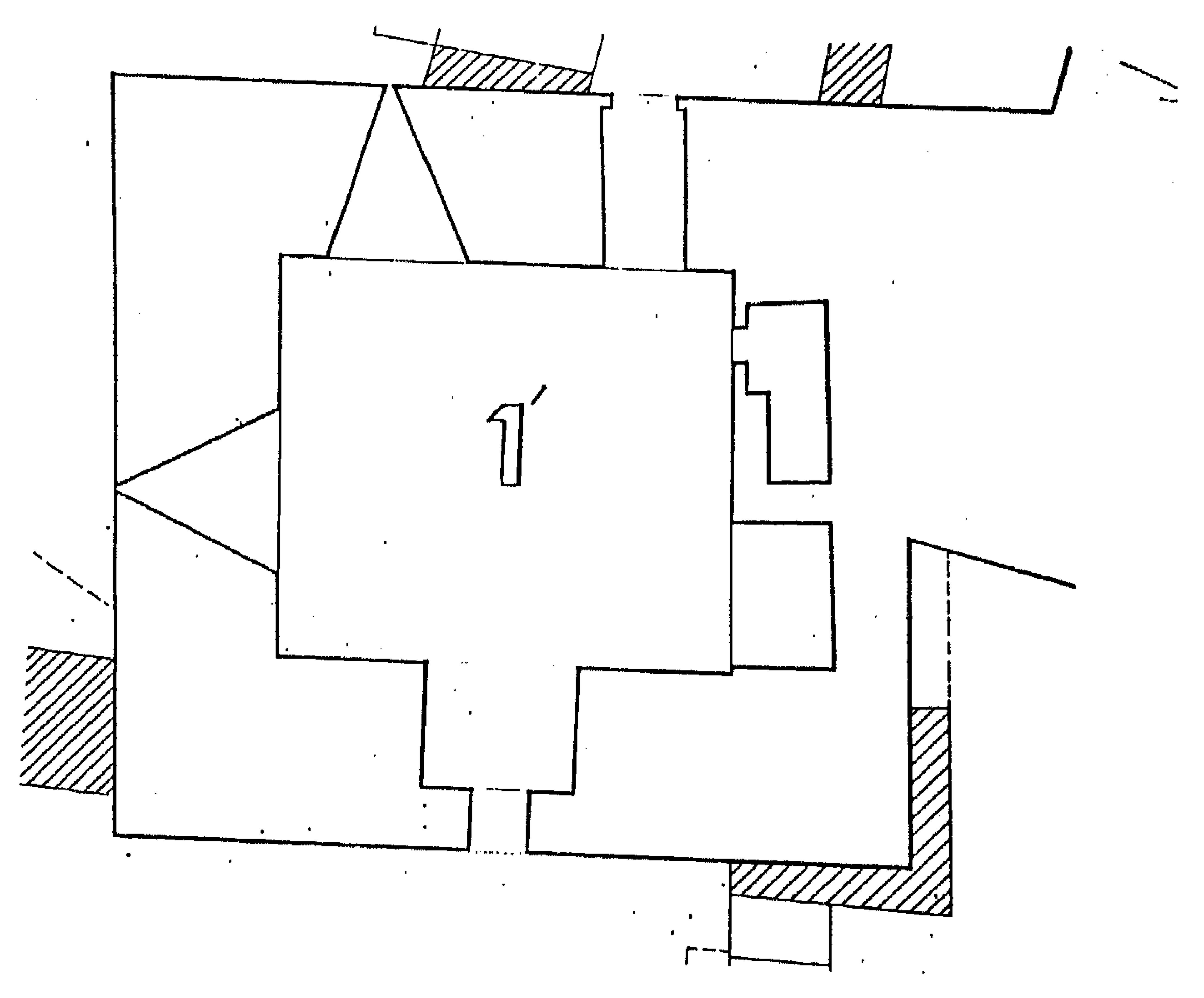


شكل (١٦) مسقط أفقى للطابق الثالث .
(عن هاردنج)



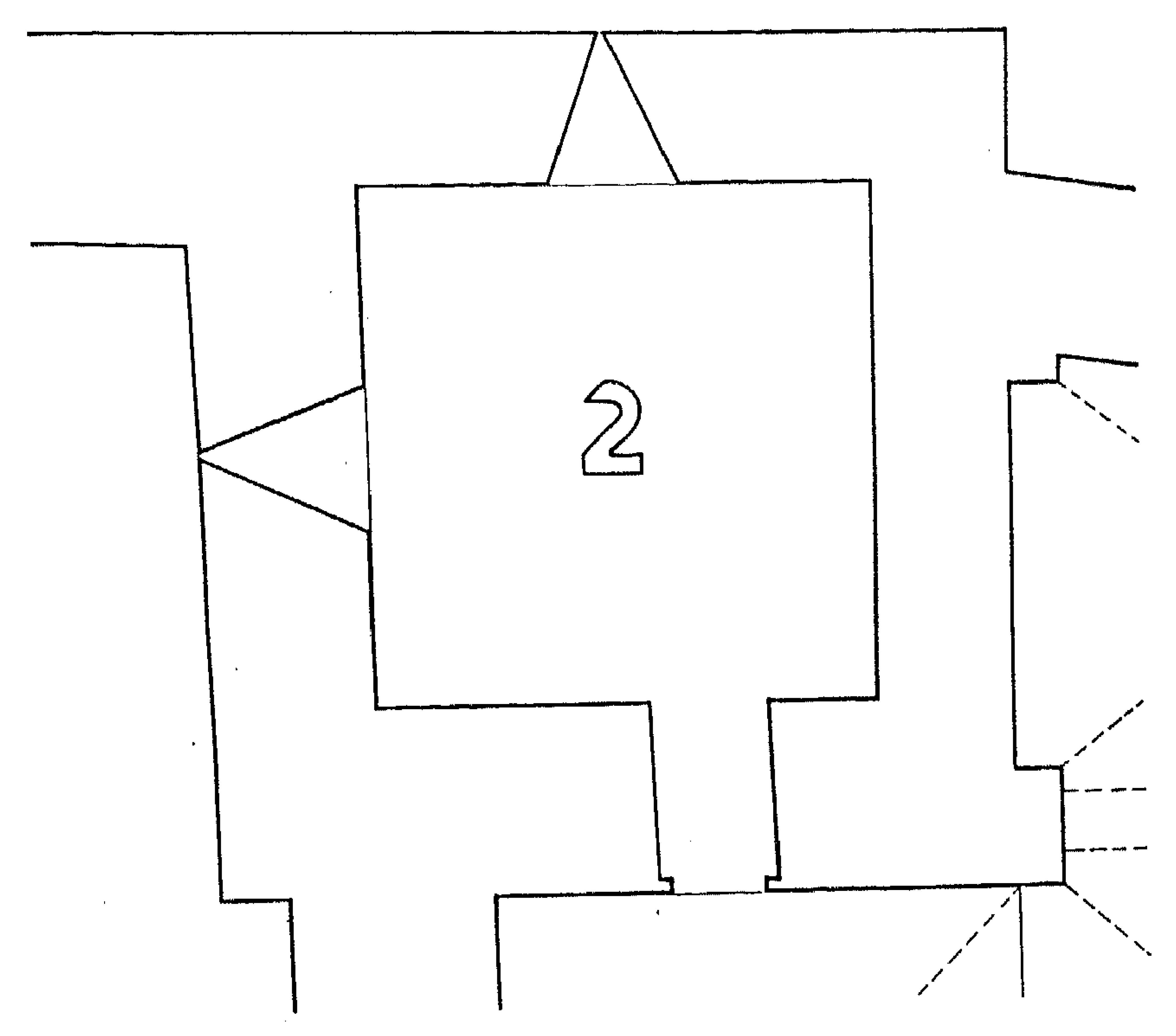
شكل (١٧) الطابق الأول من البرج رقم ١ [انظر شكل (٢)] .

(من عمل الباحث)

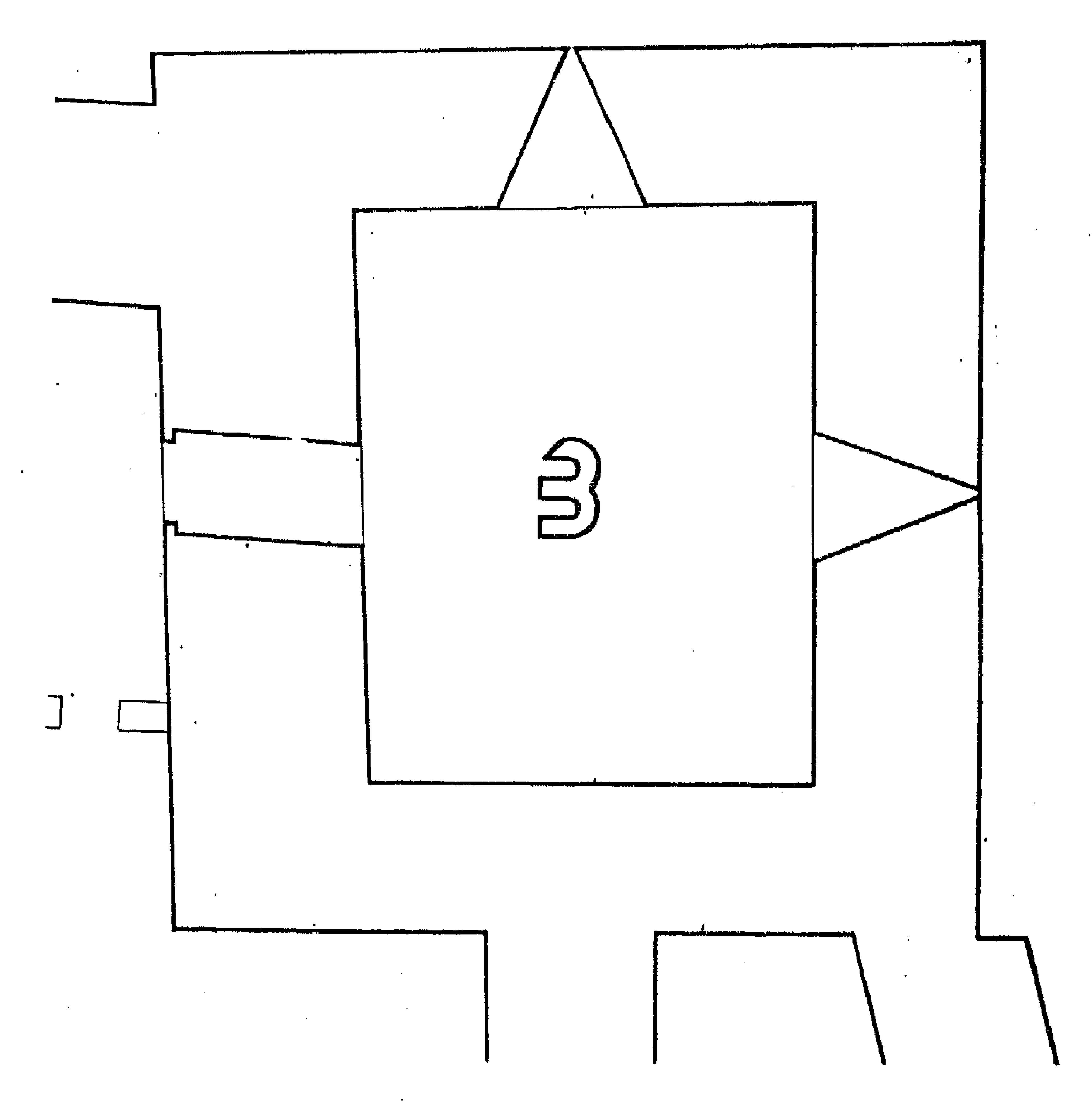


شكل (١٨) الطابق الثانى من البرج رقم ١ [انظر شكل (٢)] .

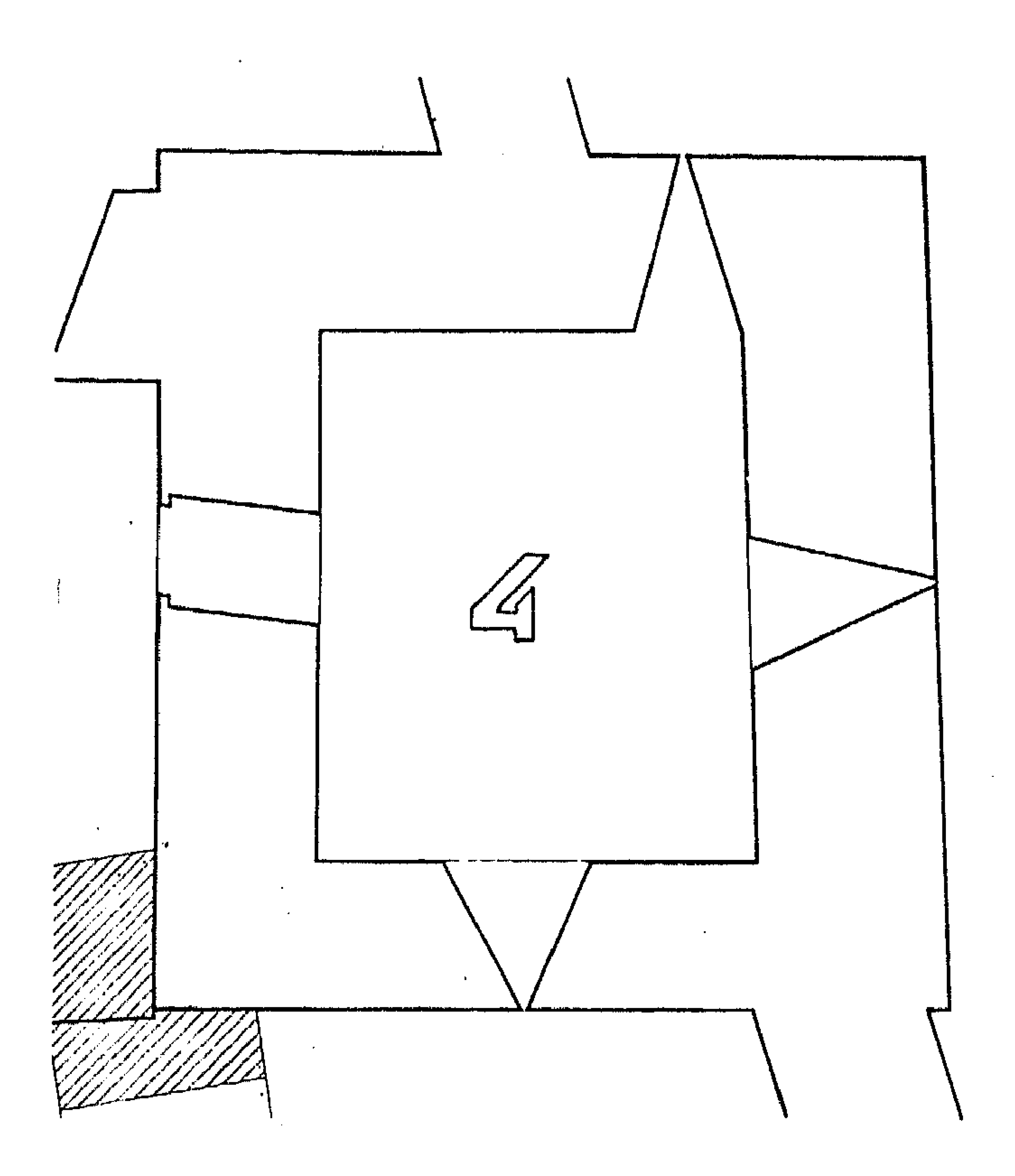
(من عمل الباحث)



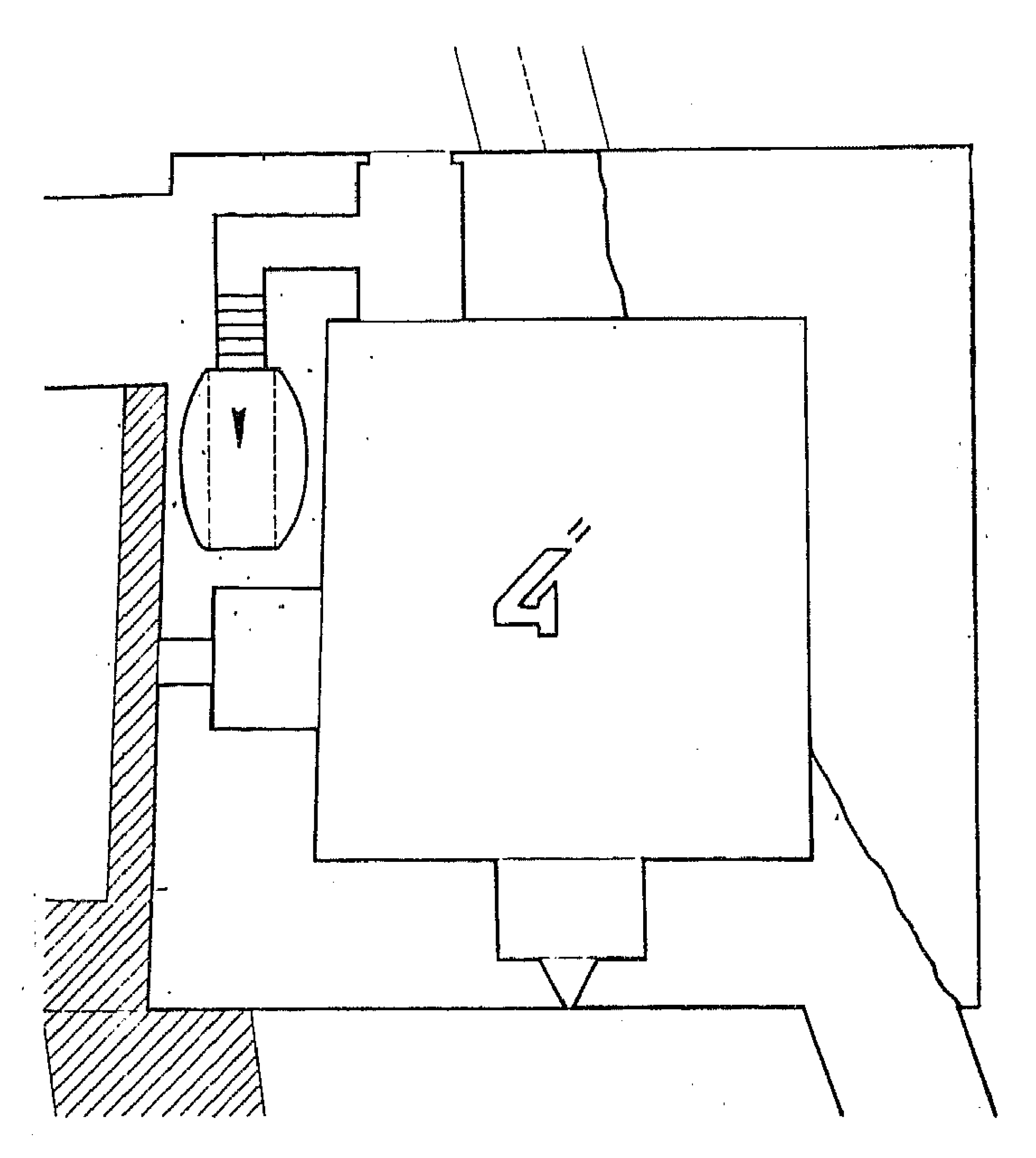
شكل (١٩) المسقط الأفقى للبرج رقم ٢ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



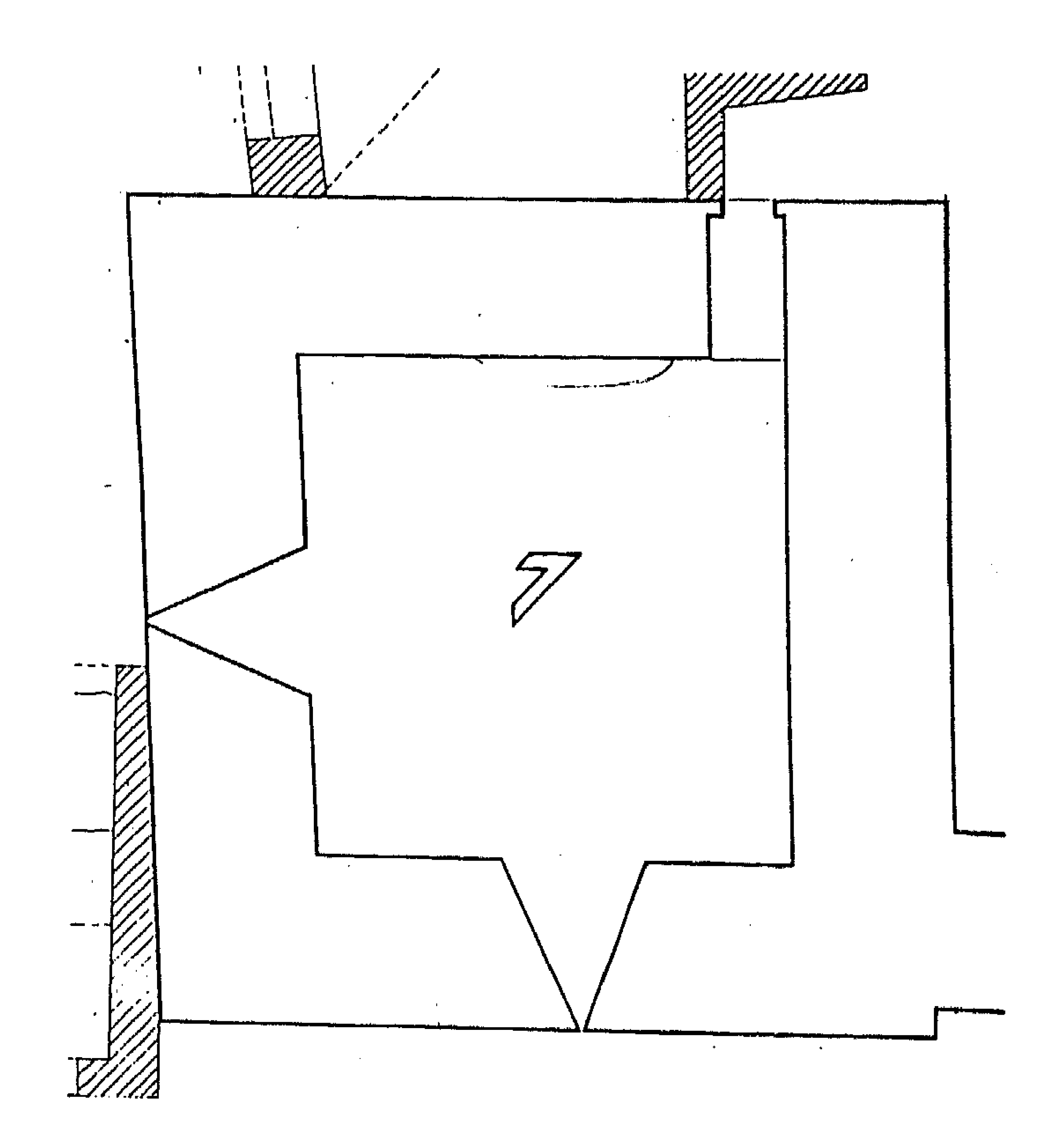
شكل (٢٠) المسقط الأفقى للبرج رقم ٣ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



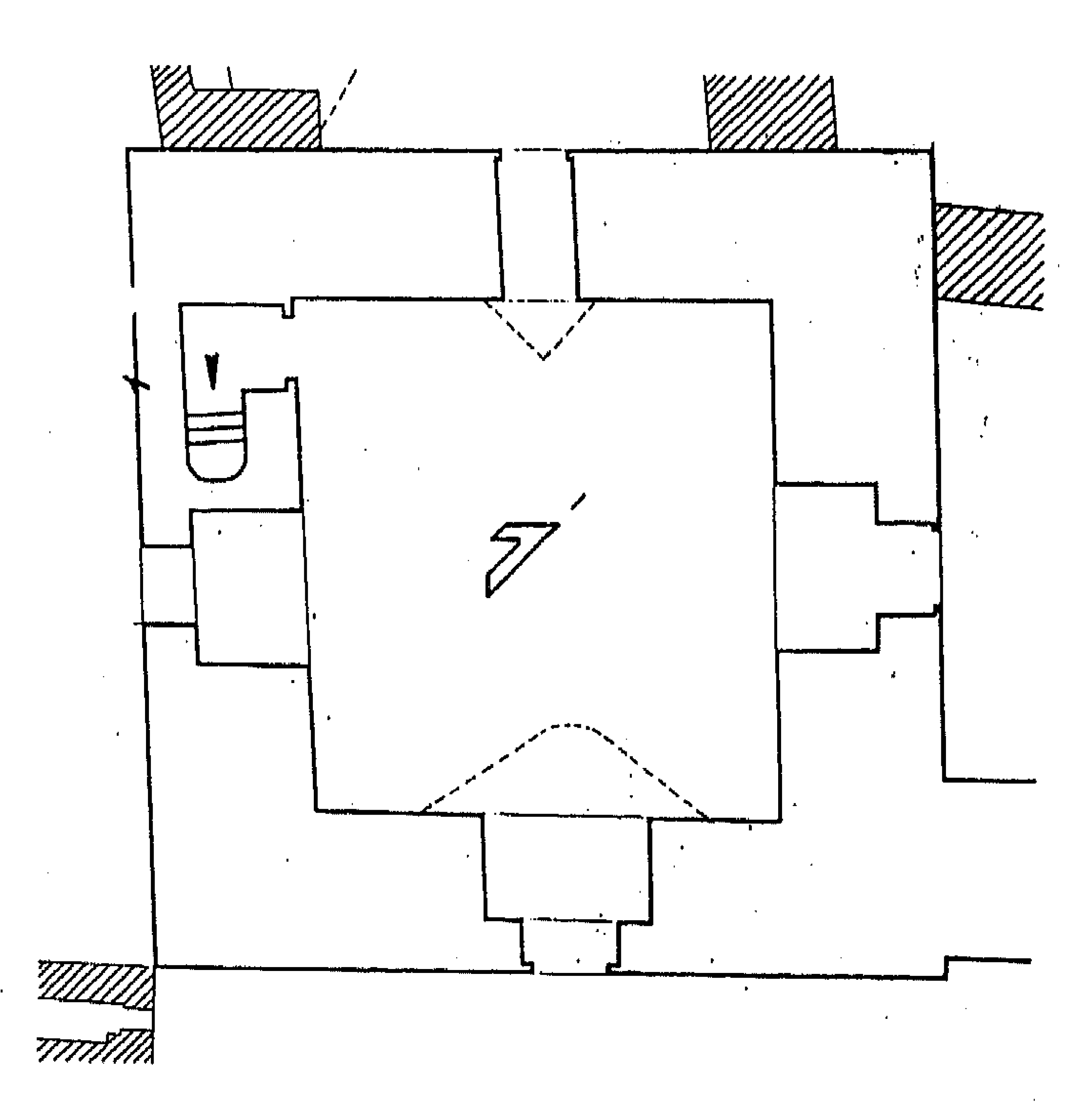
شكل (٢١) المسقط الأفقى للبرج رقم ٤ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



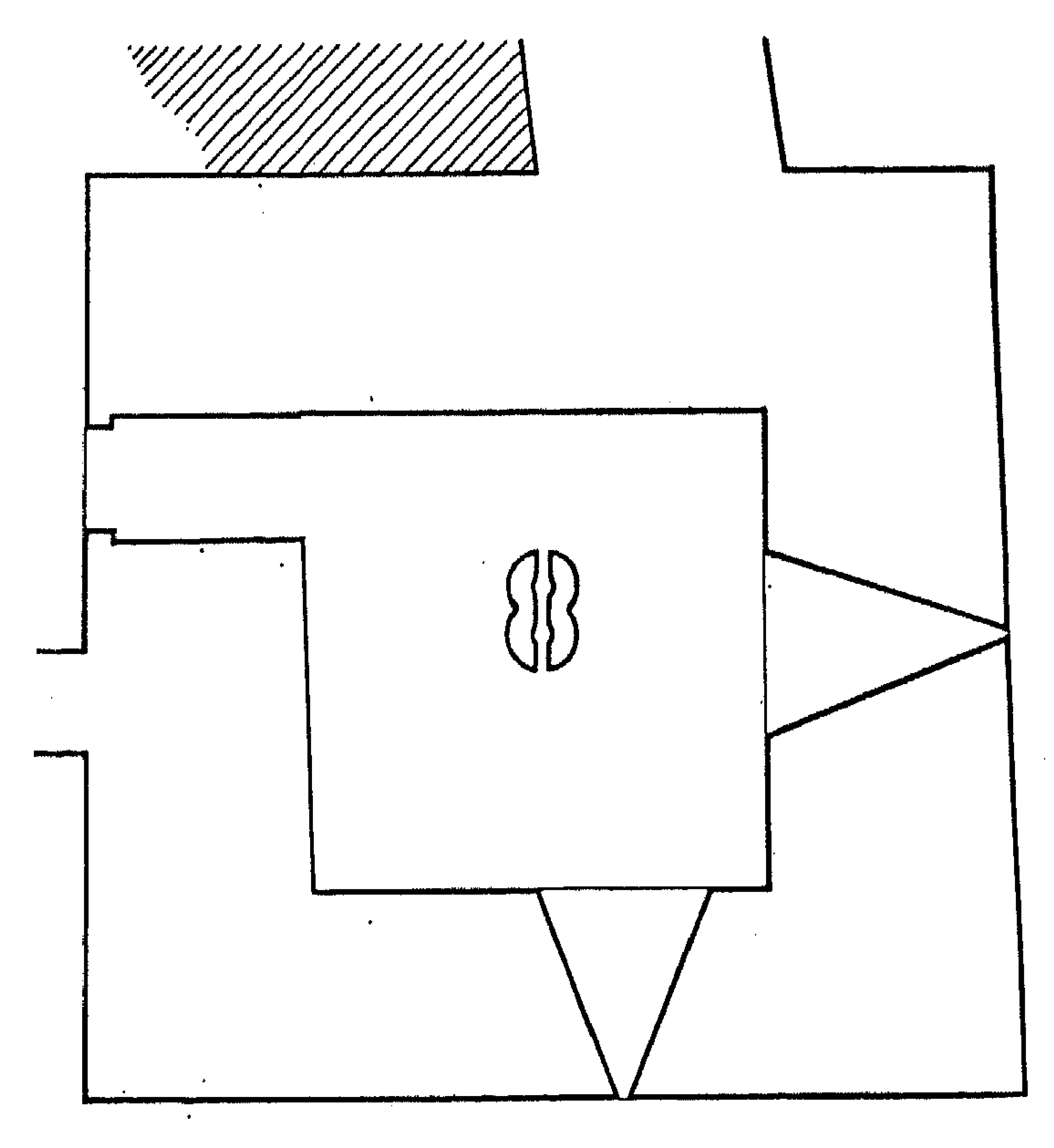
شكل (٢٢) المسقط الأفقى للطابق الثانى من البرج رقم ٤ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



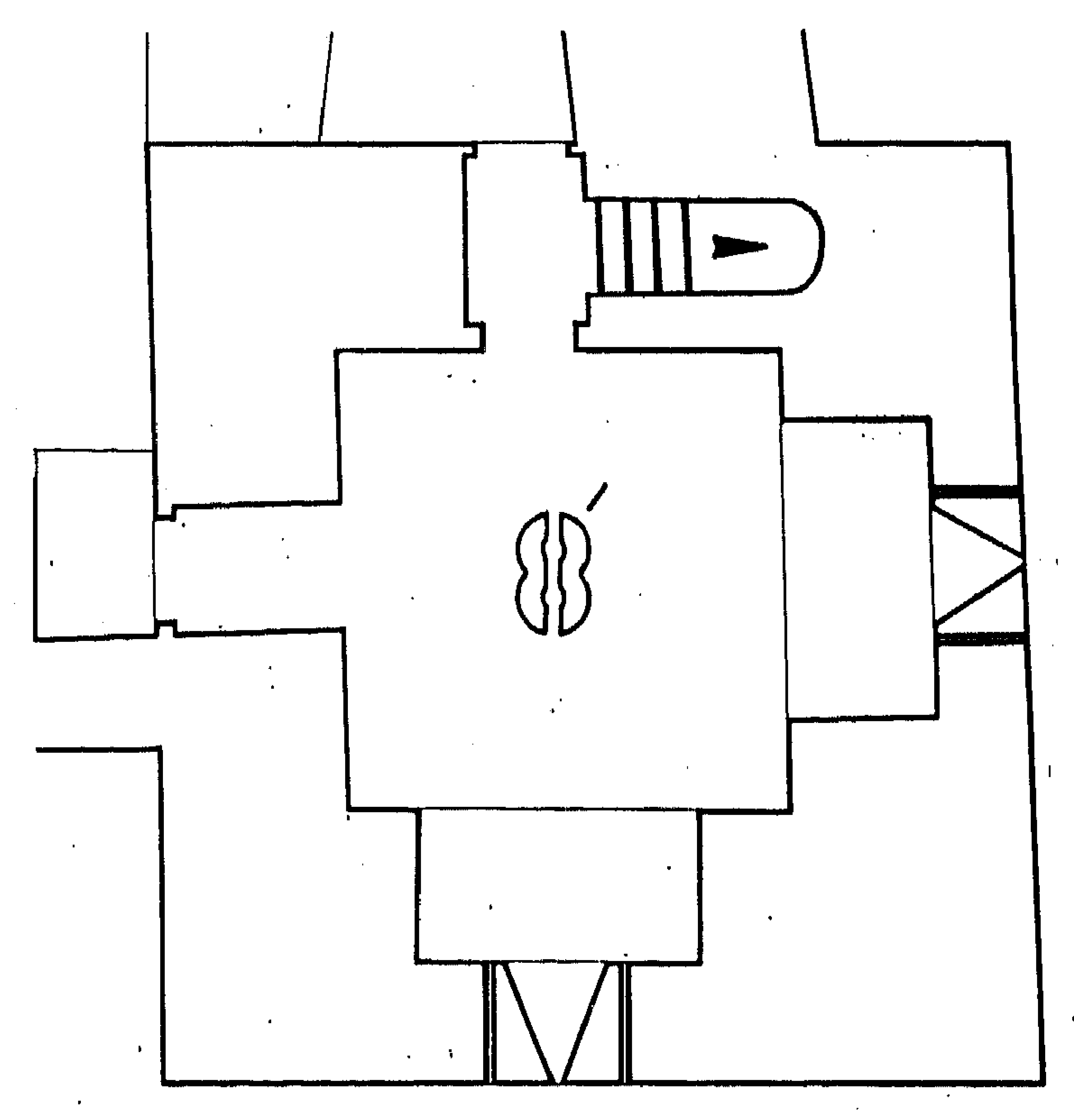
شكل (٢٣) المسقط الأفقى للطابق الأول من البرج رقم ٧ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



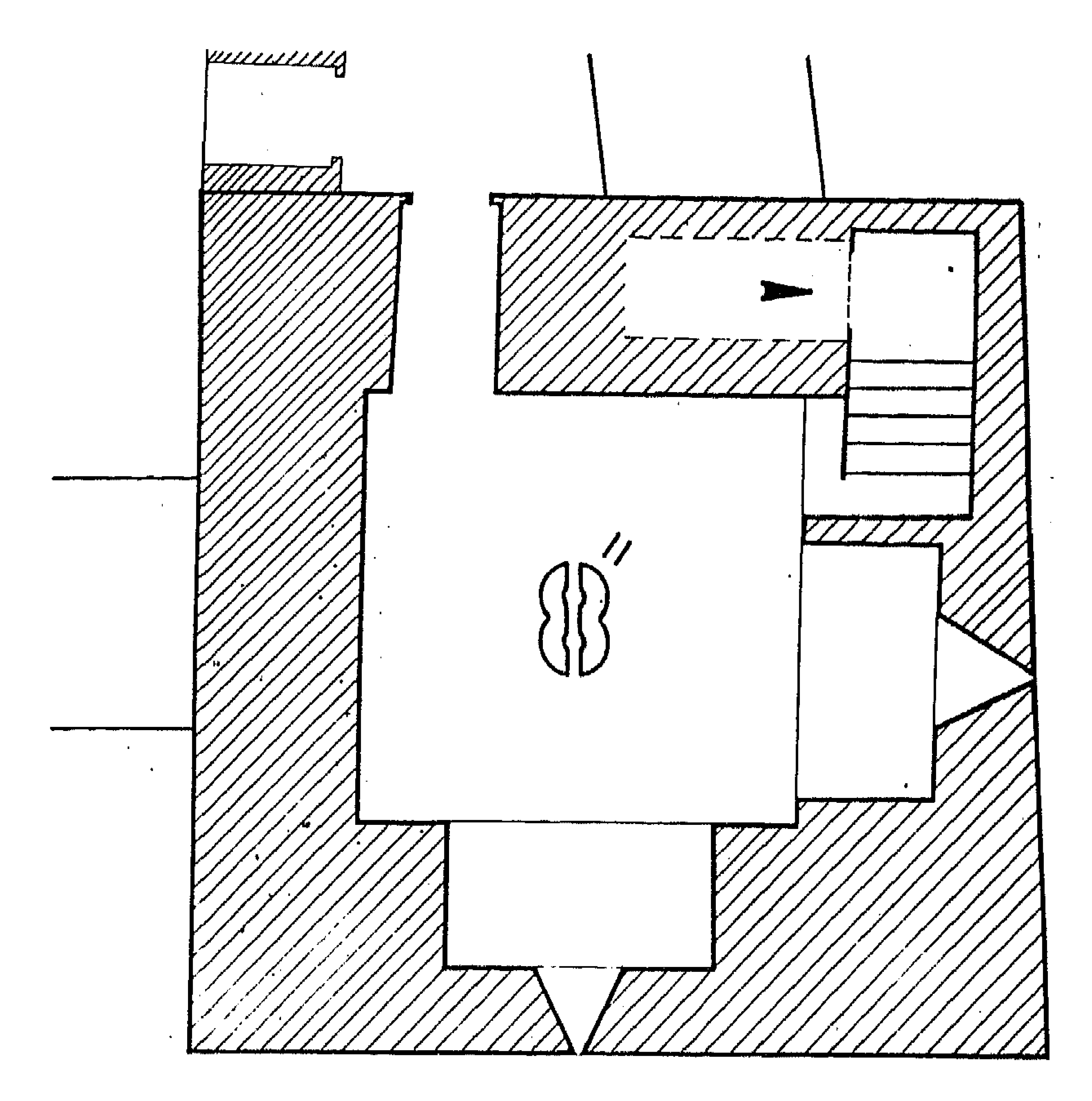
شكل (٢٤) المسقط الأفقى للطابق الثانى من البرج رقم ٧ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



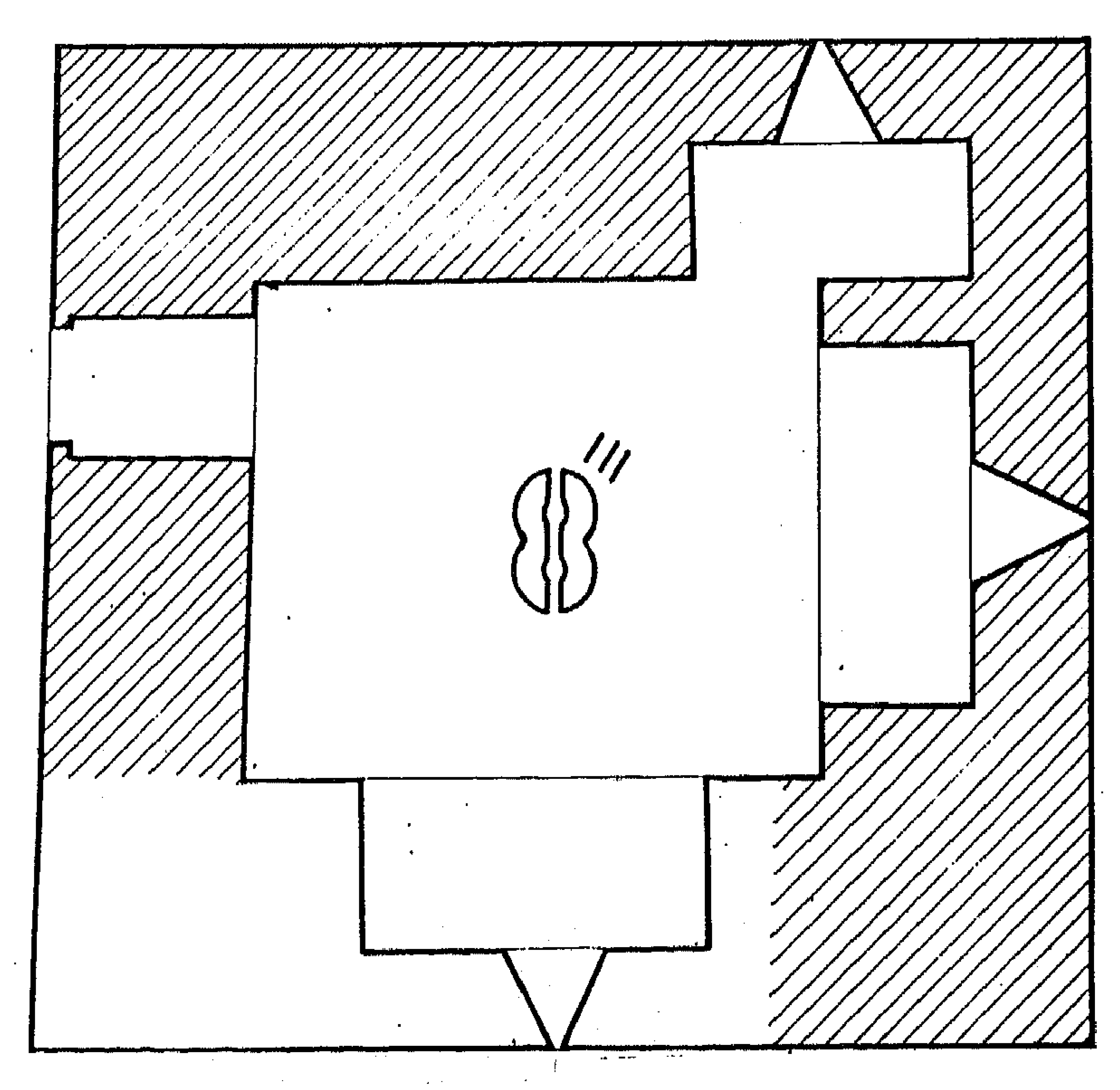
شكل (٢٥) المسقط الأفقى من البرج رقم ٨ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



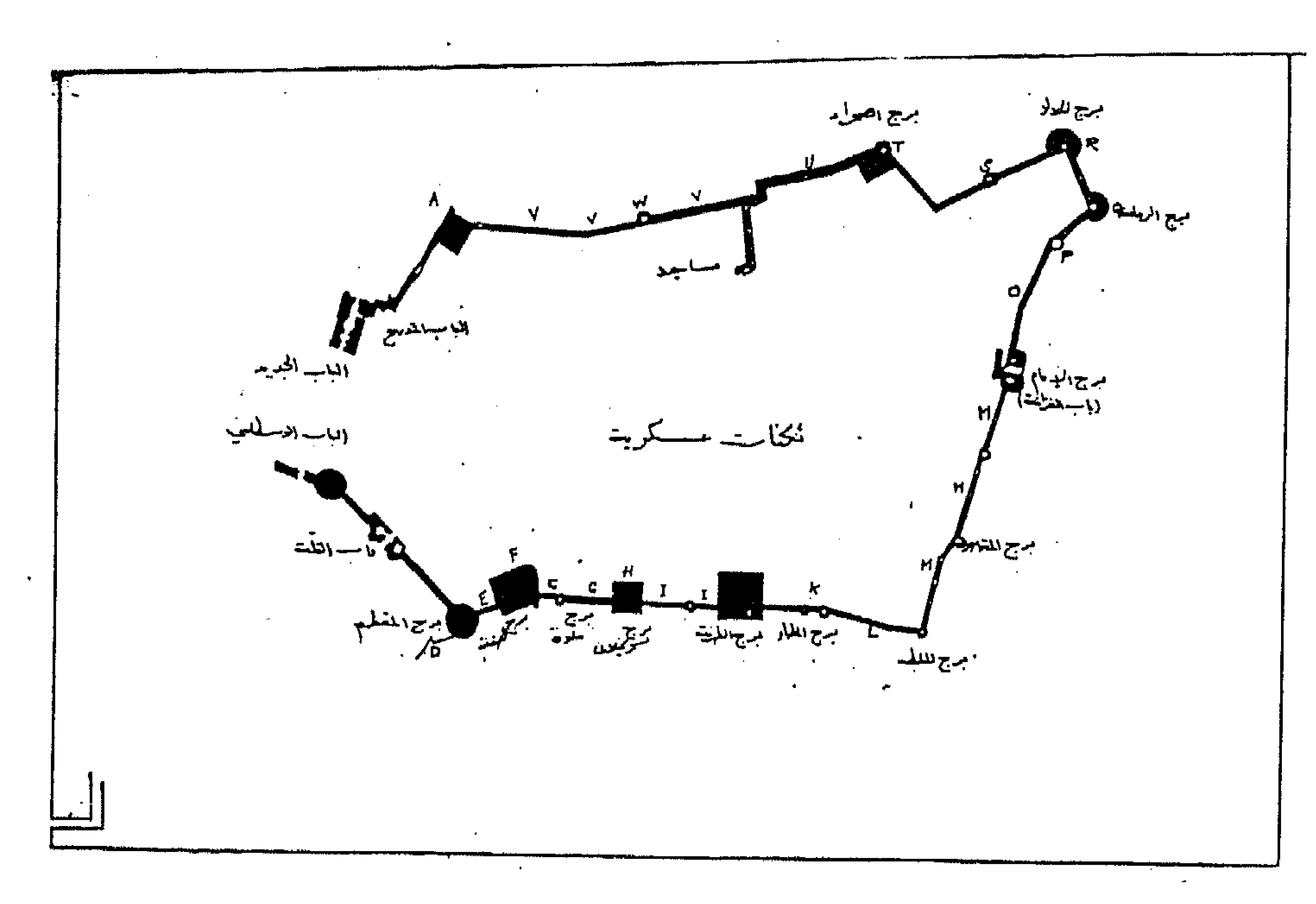
شكل (٢٦) المسقط الأفقى للطابق الأول من البرج رقم ٨ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



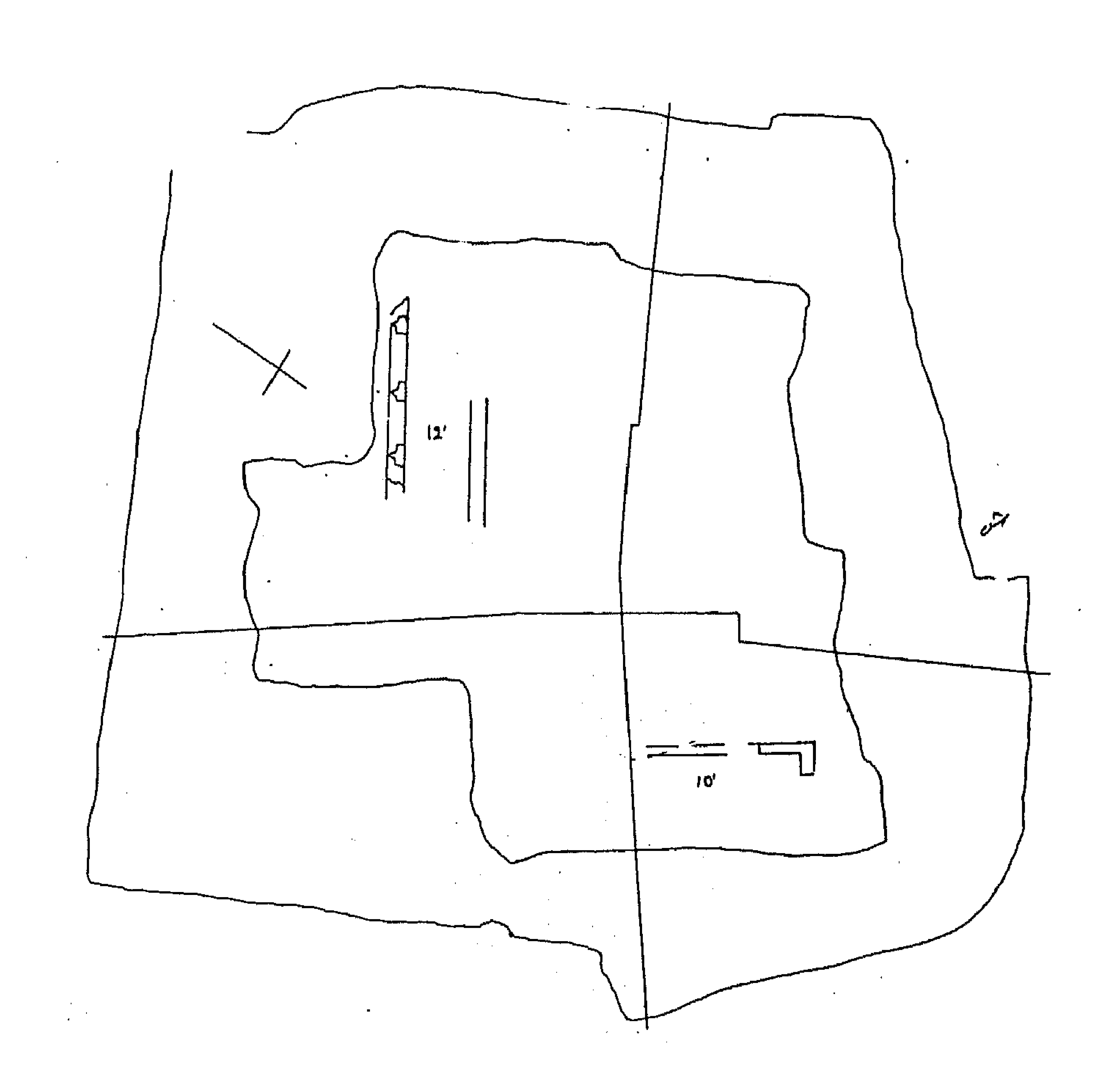
شكل (٢٧) المسقط الأفقى للطابق الثانى من البرج رقم ٨ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



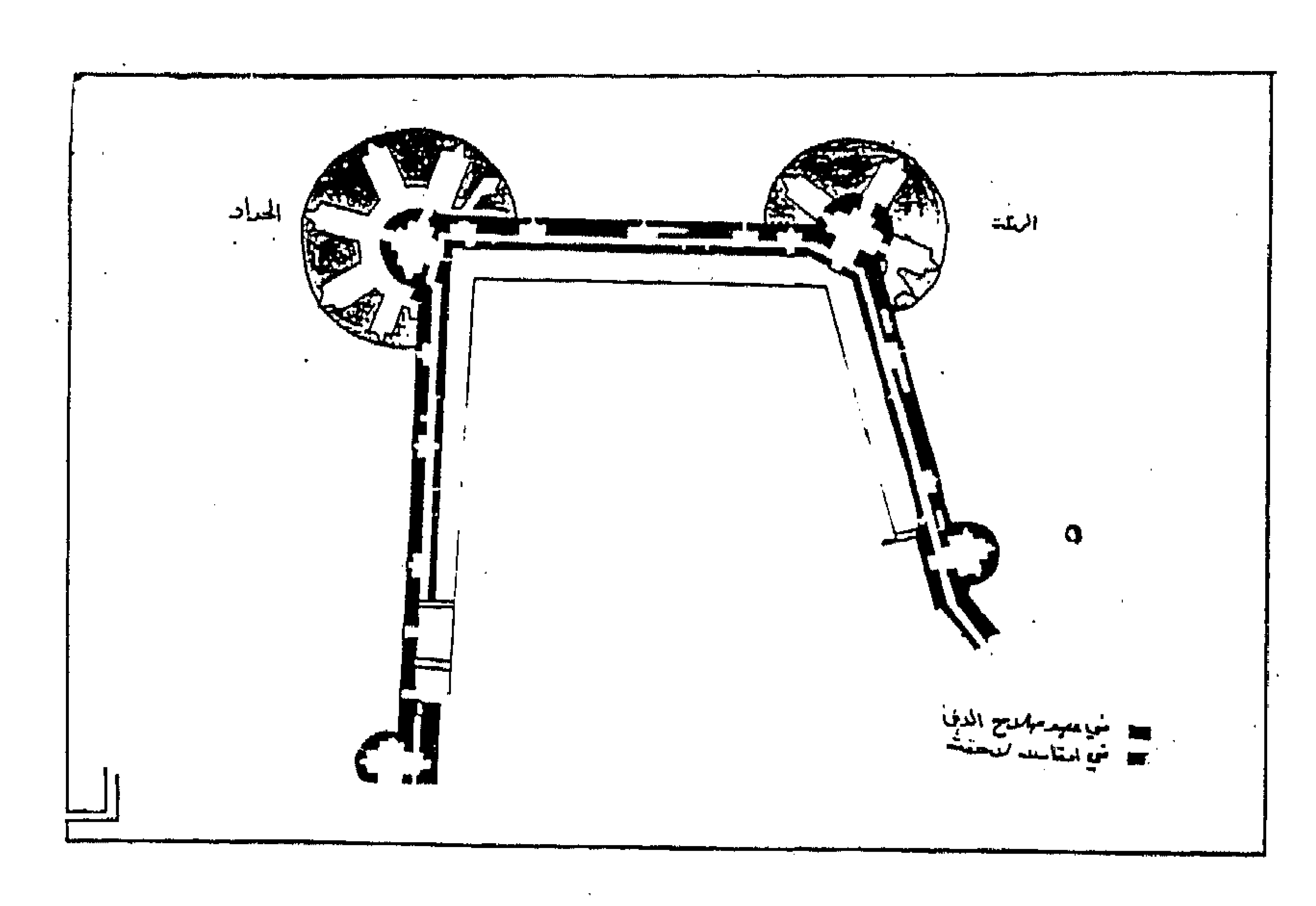
شكل (٢٨) المسقط الأفقى للطابق الثالث من البرج رقم ٨ [انظر شكل (٢)] .
(من عمل الباحث)



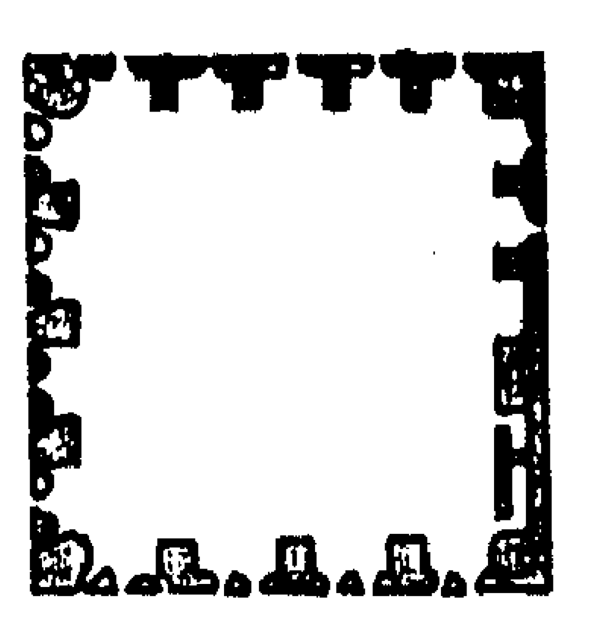
شكل (٢٩) مسقط أفقى لقلعة الجبل .
(من عمل الباحث)

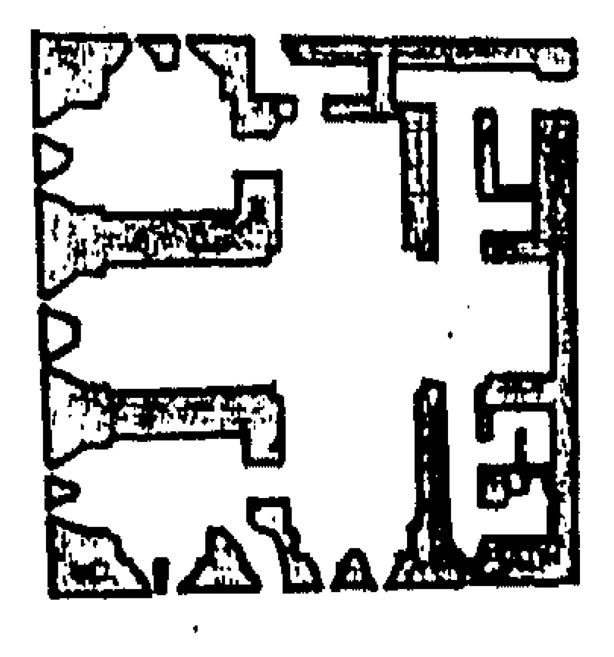


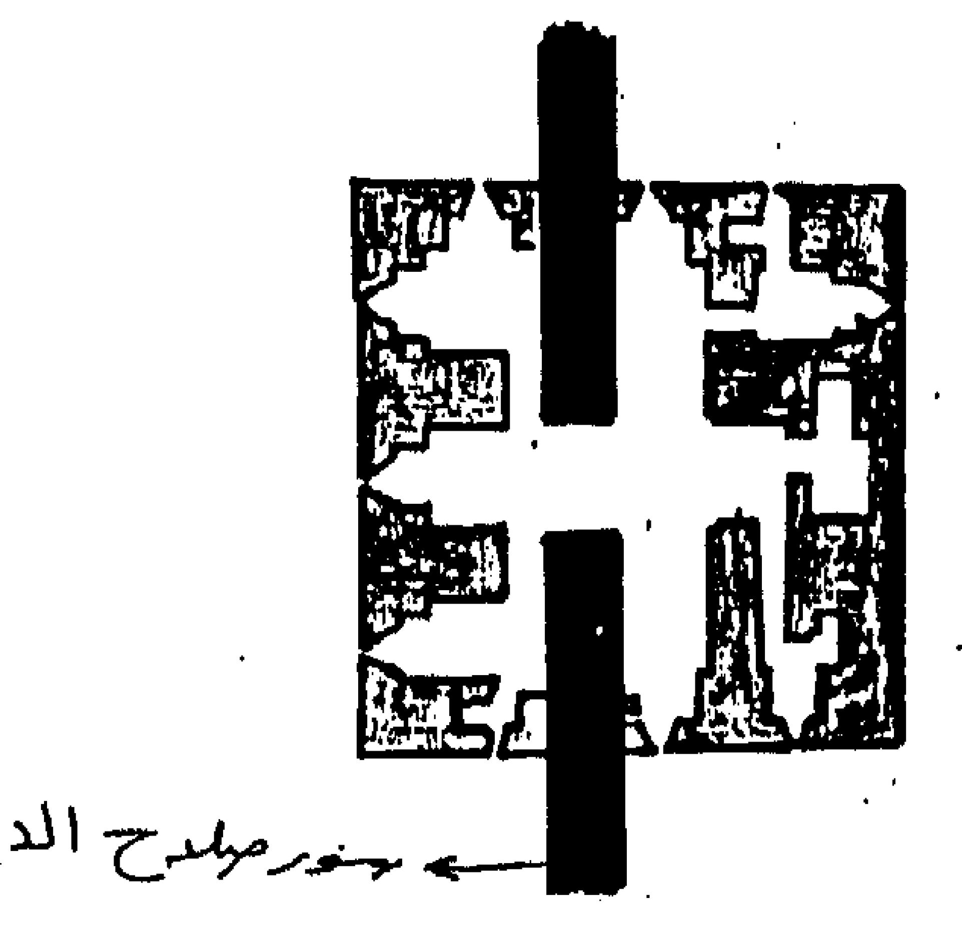
شكل (٣٠) مسقط أفقى لقلعة عجلون .
(من عمل الباحث)



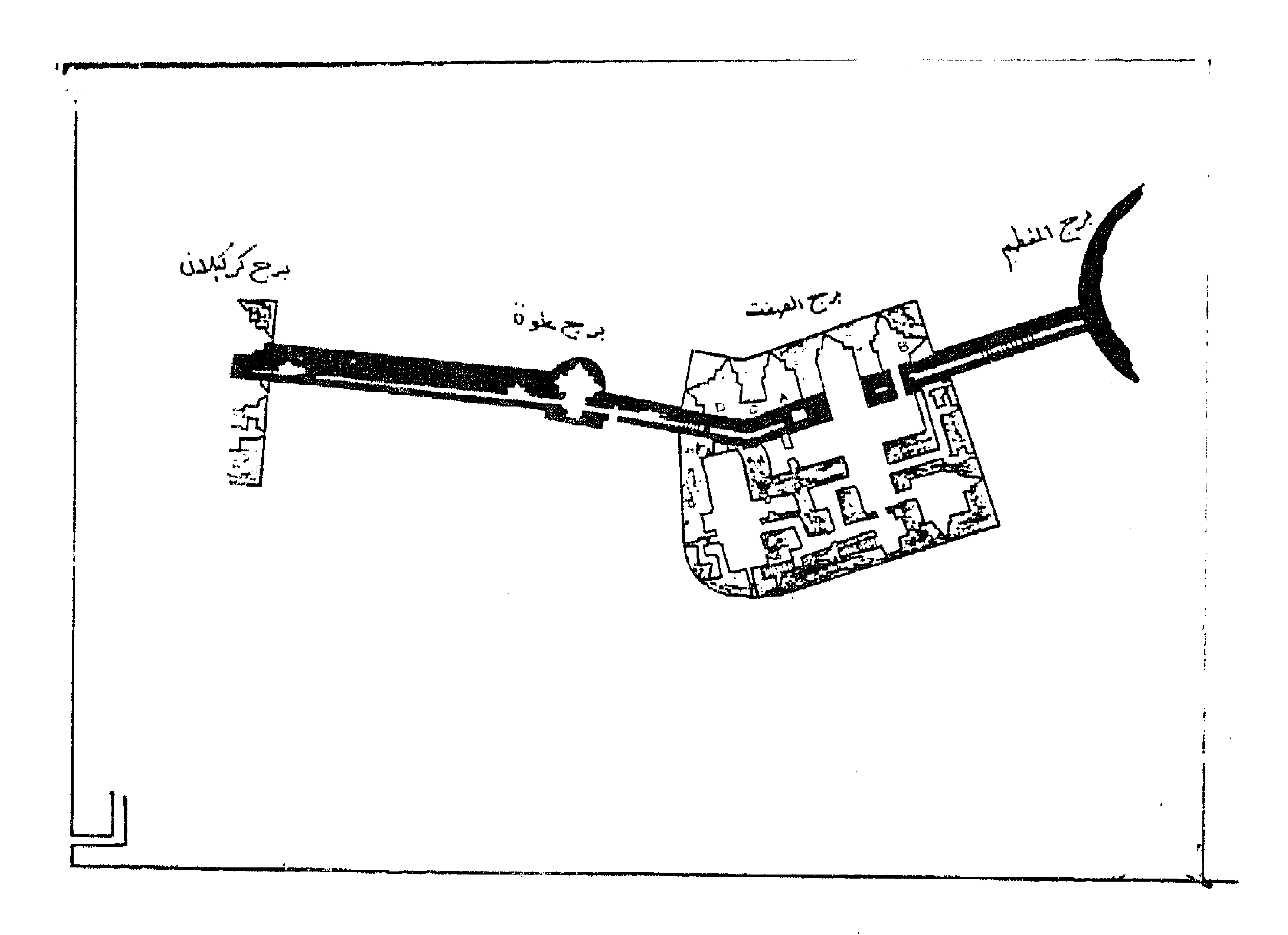
شكل (٣١) الأبراج المستديرة بقلعة الجبل .
(من عمل الباحث)



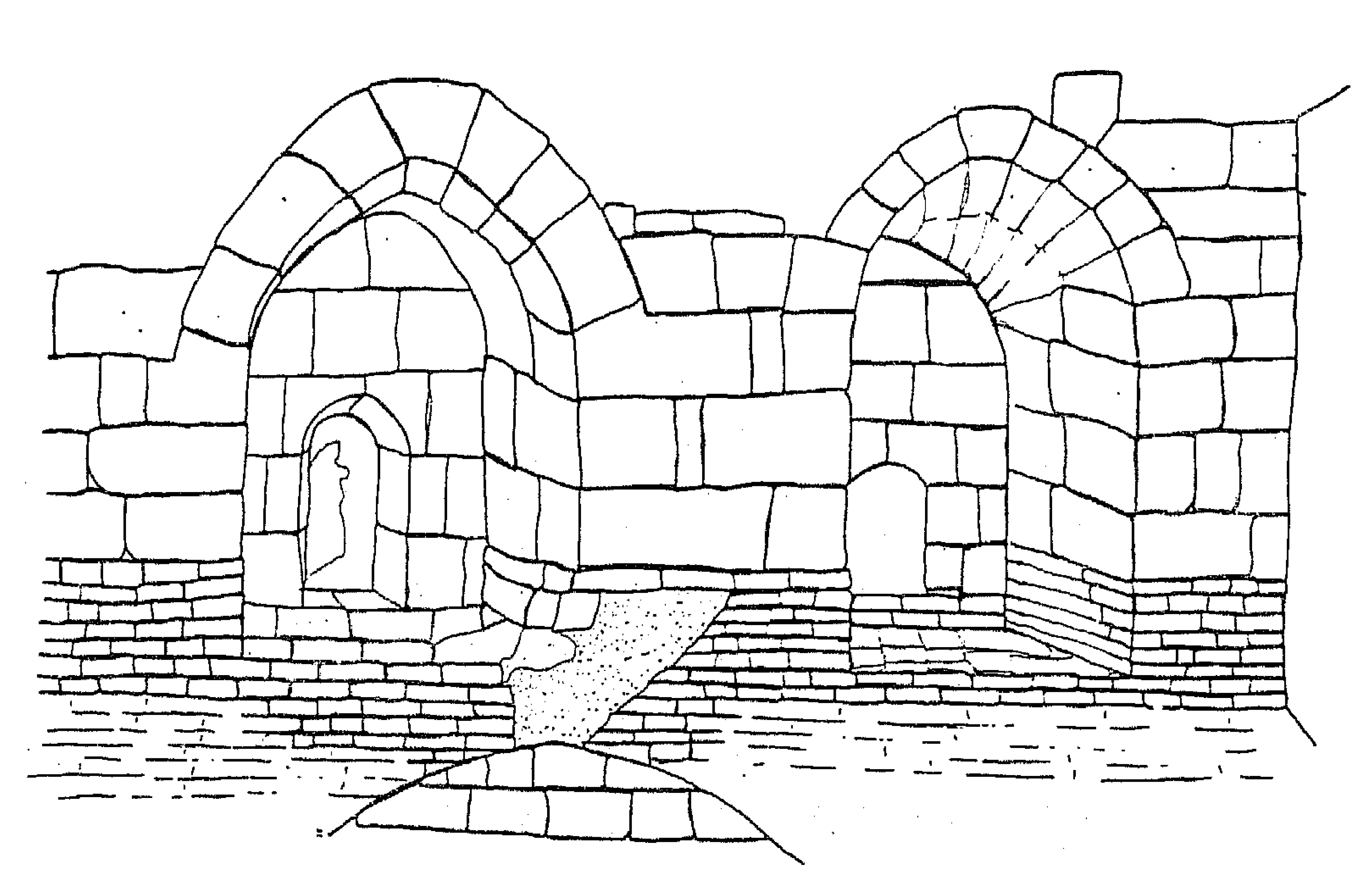




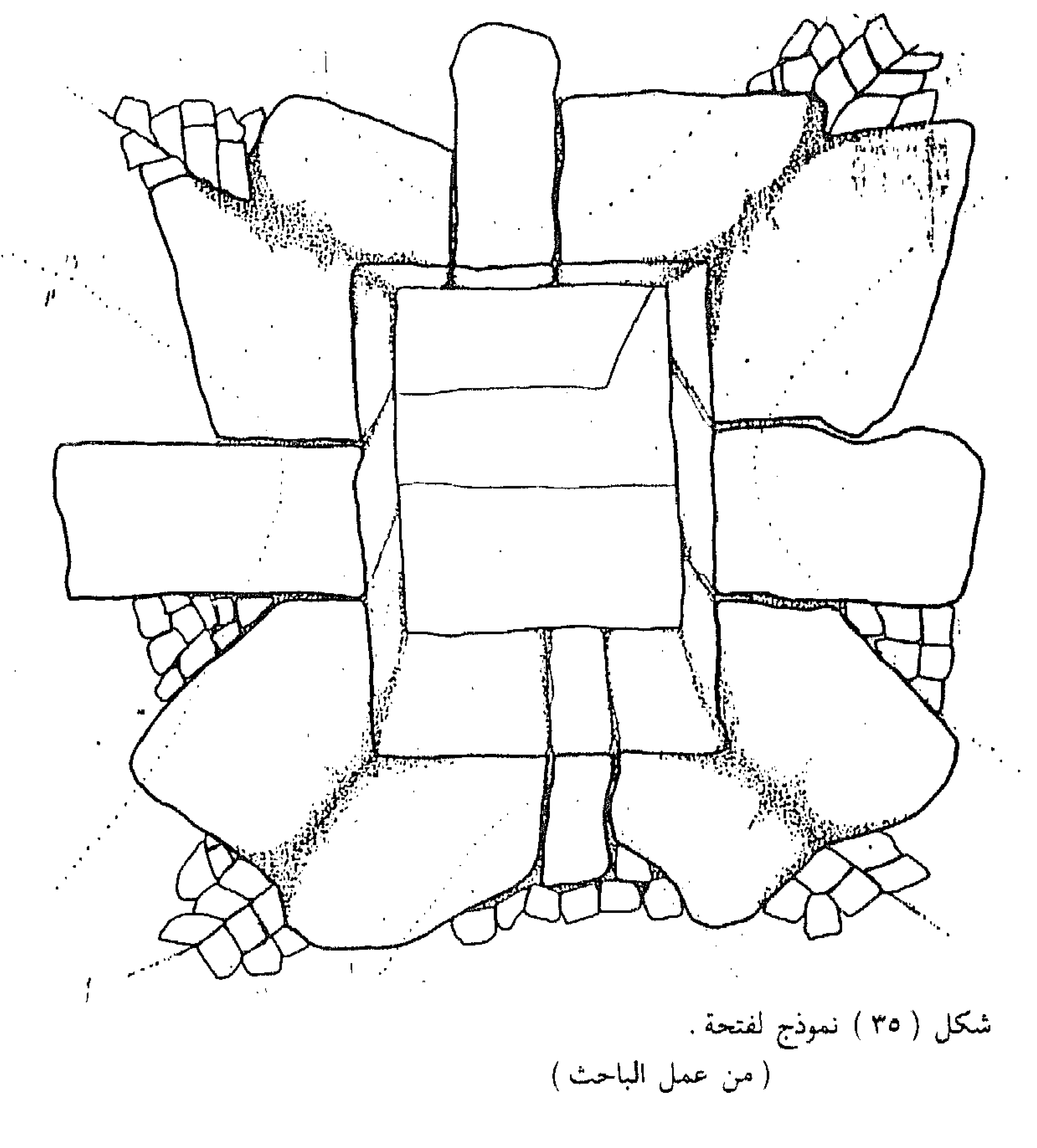
شكل (٣٢) الأبراج المربعة بقلعة الجبل .
(من عمل الباحث)



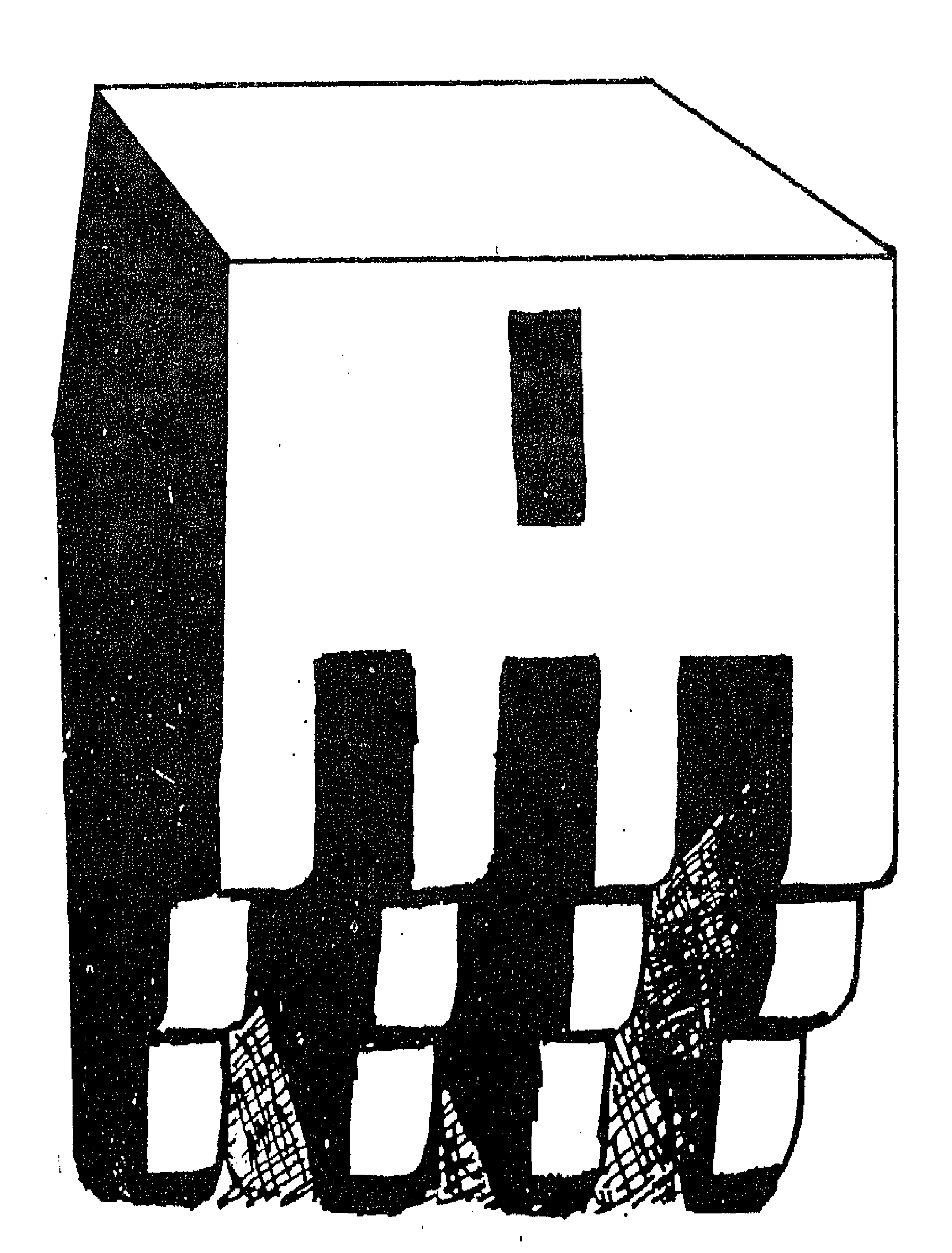
شكل (٣٣) رسم تخطيطى لأبراج قلعة الجبل التى تلى برج المقطم (تمثل الأبراج الغير منتظمة الشكل) .
(من عمل الباحث)



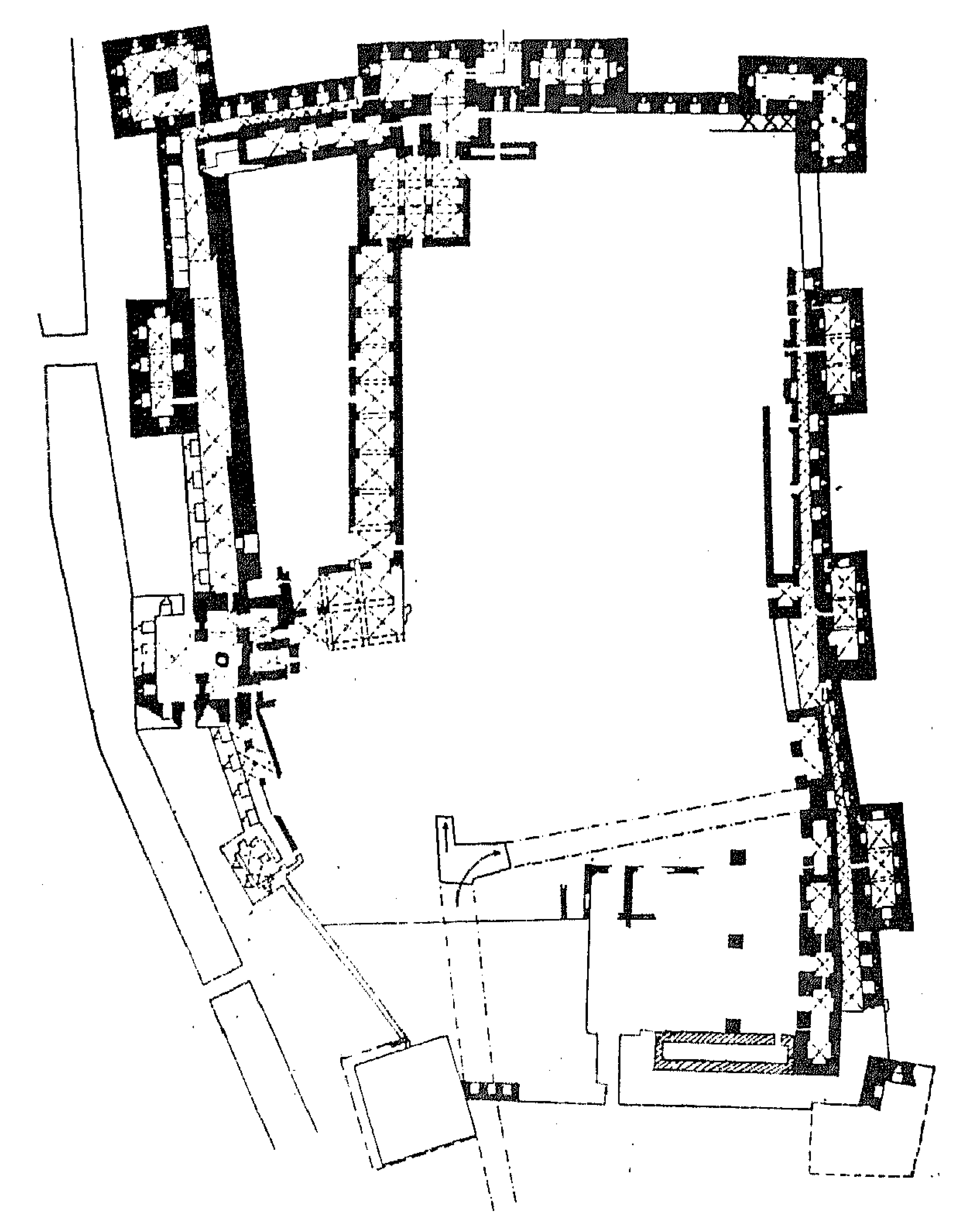
شكل (٣٤) طريقة تخفيف الأحمال عند النوافذ والفتحات (قلعة عجلون) .
(من عمل الباحث)



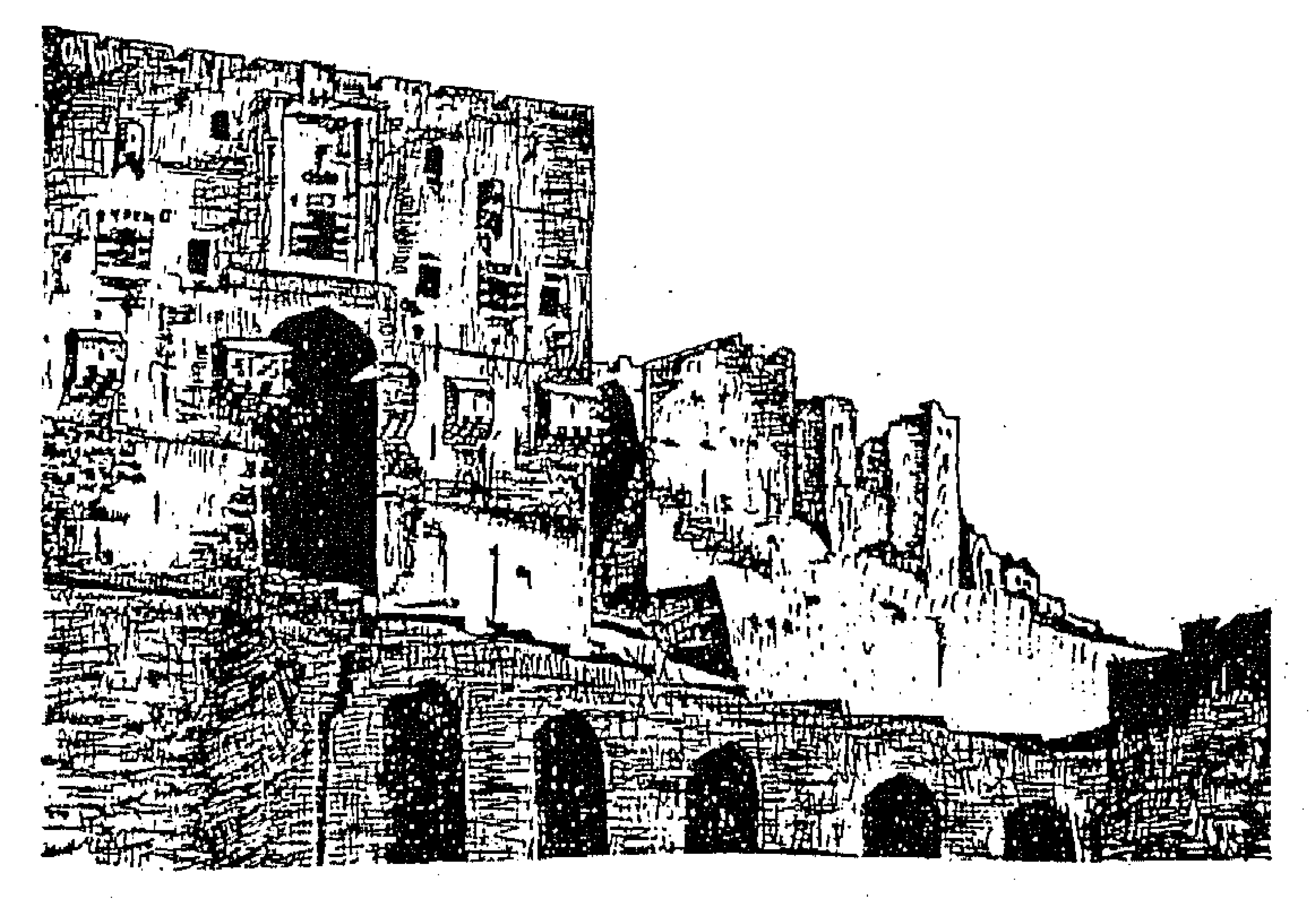
شكل (٣٥) نموذج لفتحة .
(من عمل الباحث)



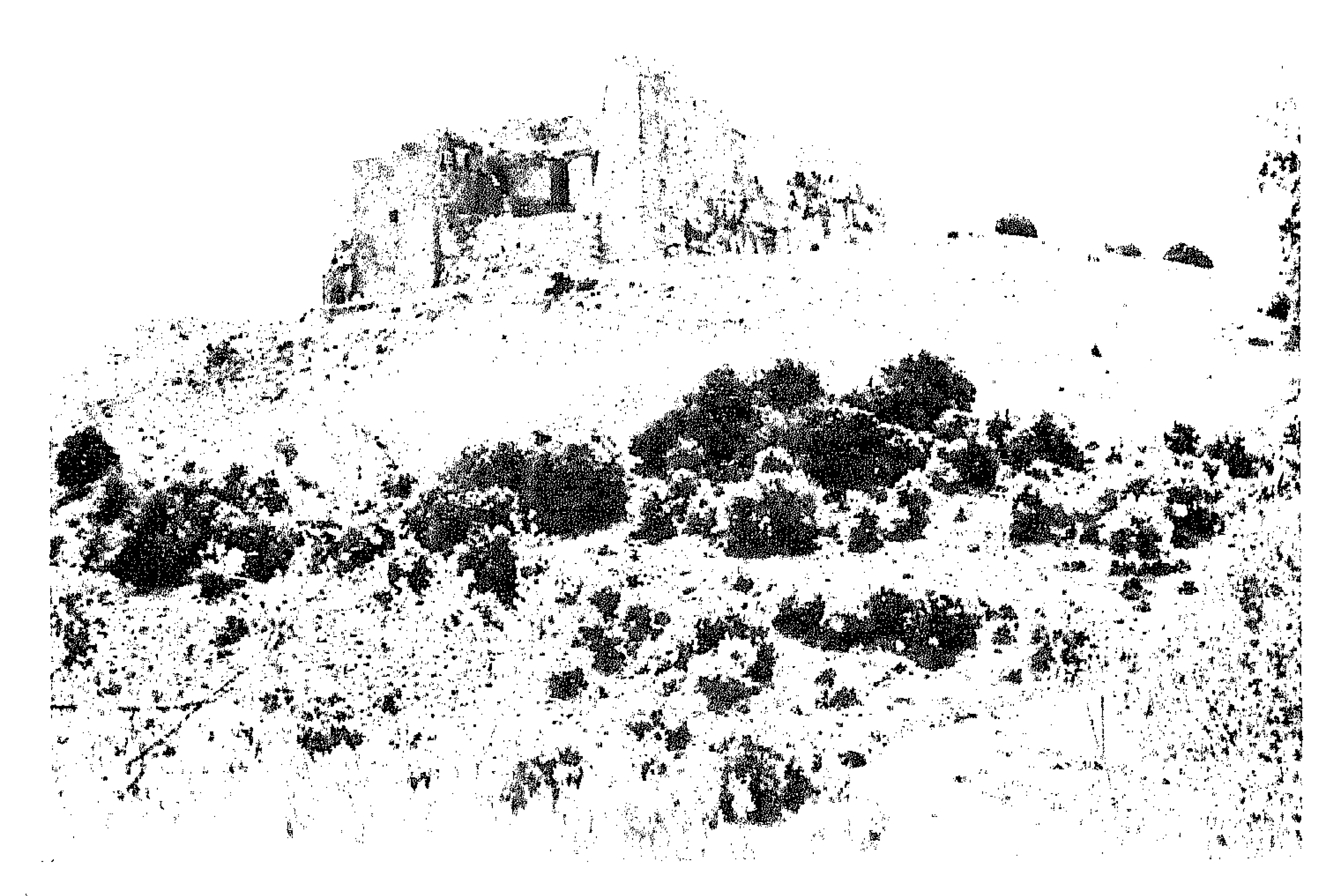
شكل (٣٦) نموذج لسقاطة من قلعة عجلون .
(من عمل الباحث)



شكل (٣٧) مسقط أفقى لقلعة حلب .
(من عمل الباحث)

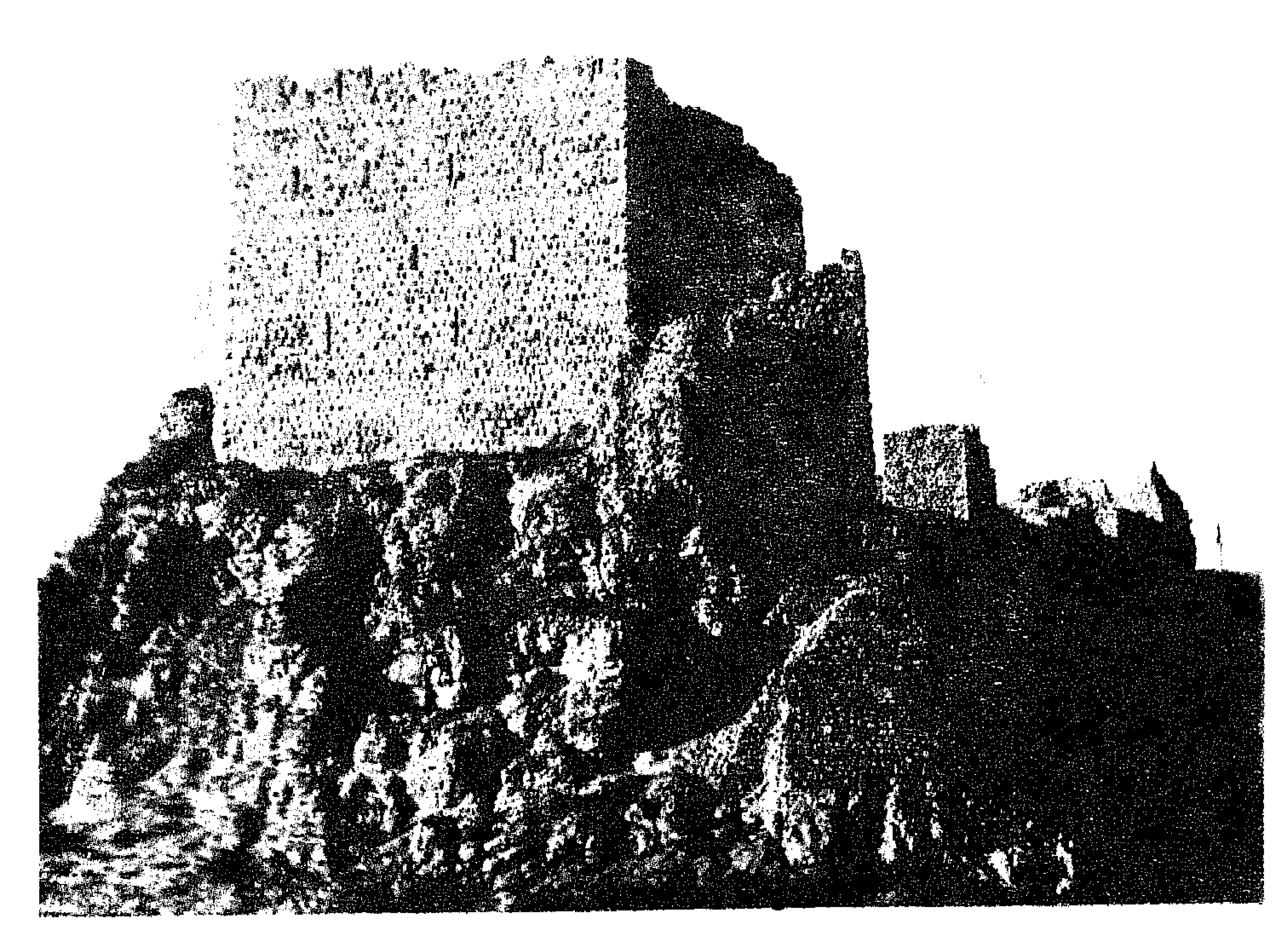


شكل (٣٨) المدخل بقلعة حلب .
(من عمل الباحث)



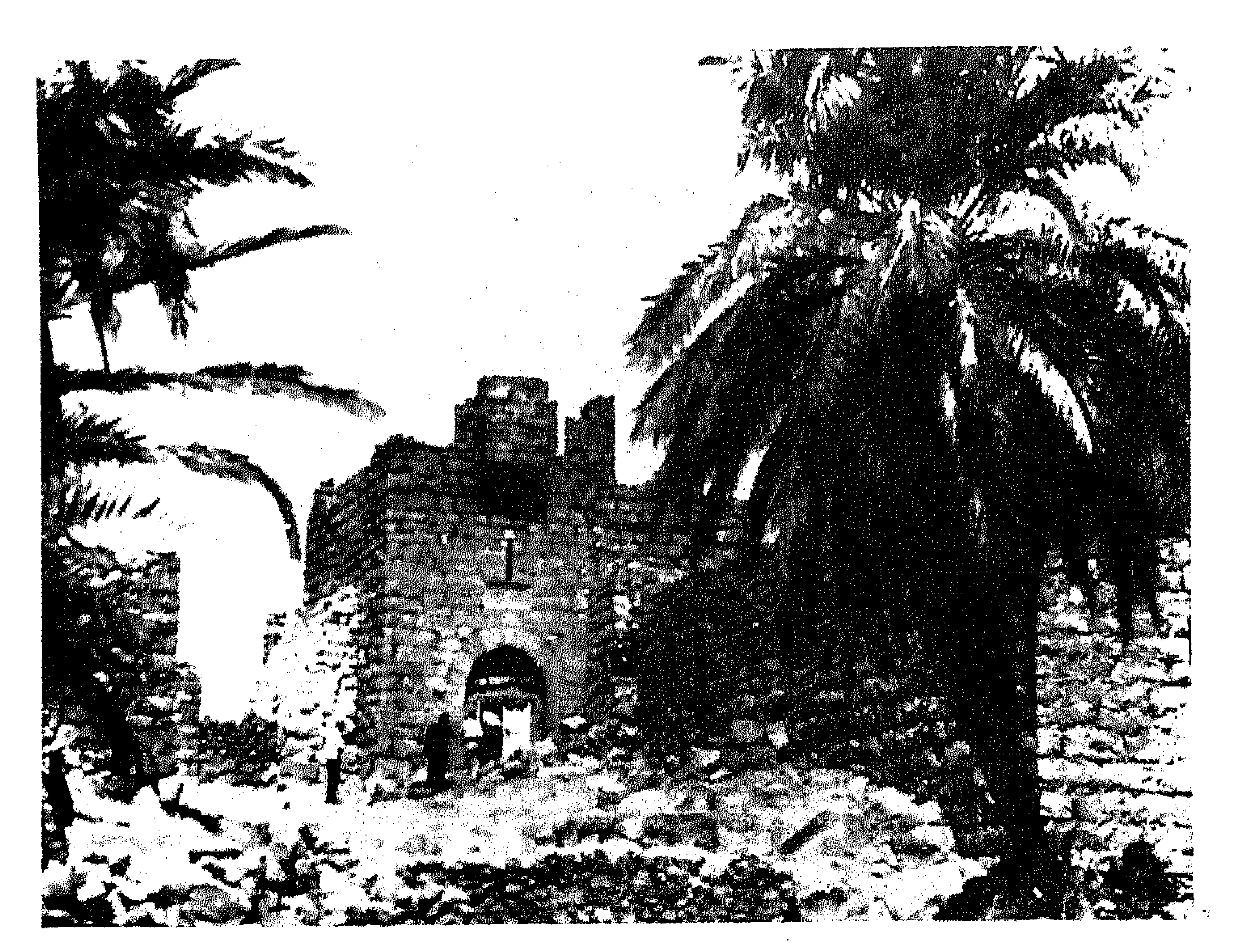
لوحة (١) منظر عام للقلعة الحالية بمنطقة عجلون .

(عن دائرة الآثار الأردنية)



لوحة (٢) أبراج قلعة الكرك .

(عن دائرة الآثار الأردنية)



لوحة (٣) قلعة الأزرق .
(عن دائرة الآثار الأردنية)



لوحة (٤) المدخل الحالى ويظهر فيه الكوبرى الخشبى والخندق أسفله.
(عن دائرة الآثار الأردنية)



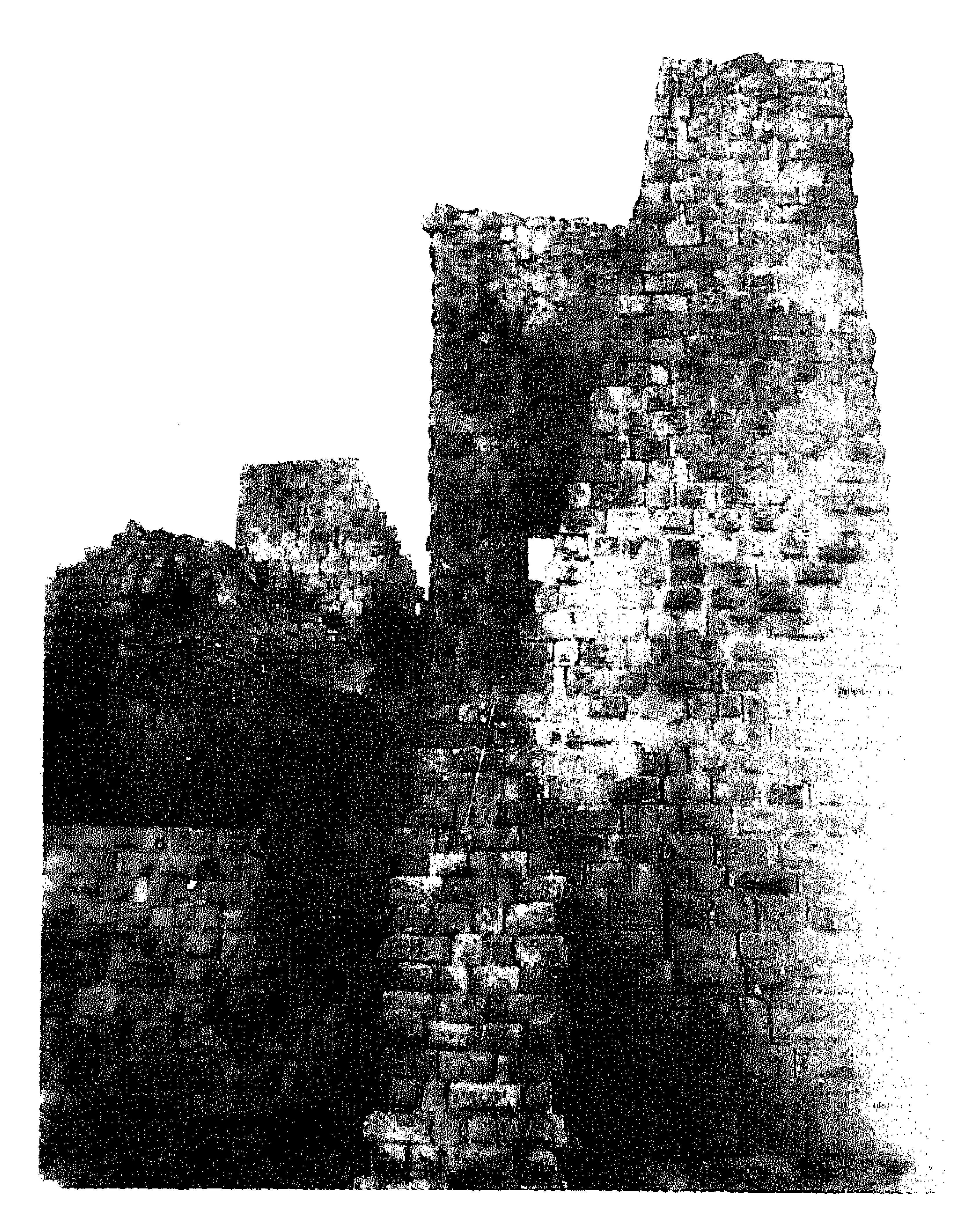
لوحة (٥) منظر للهضبة الصخرية القائم عليه القلعة .
(تصوير الباحث)



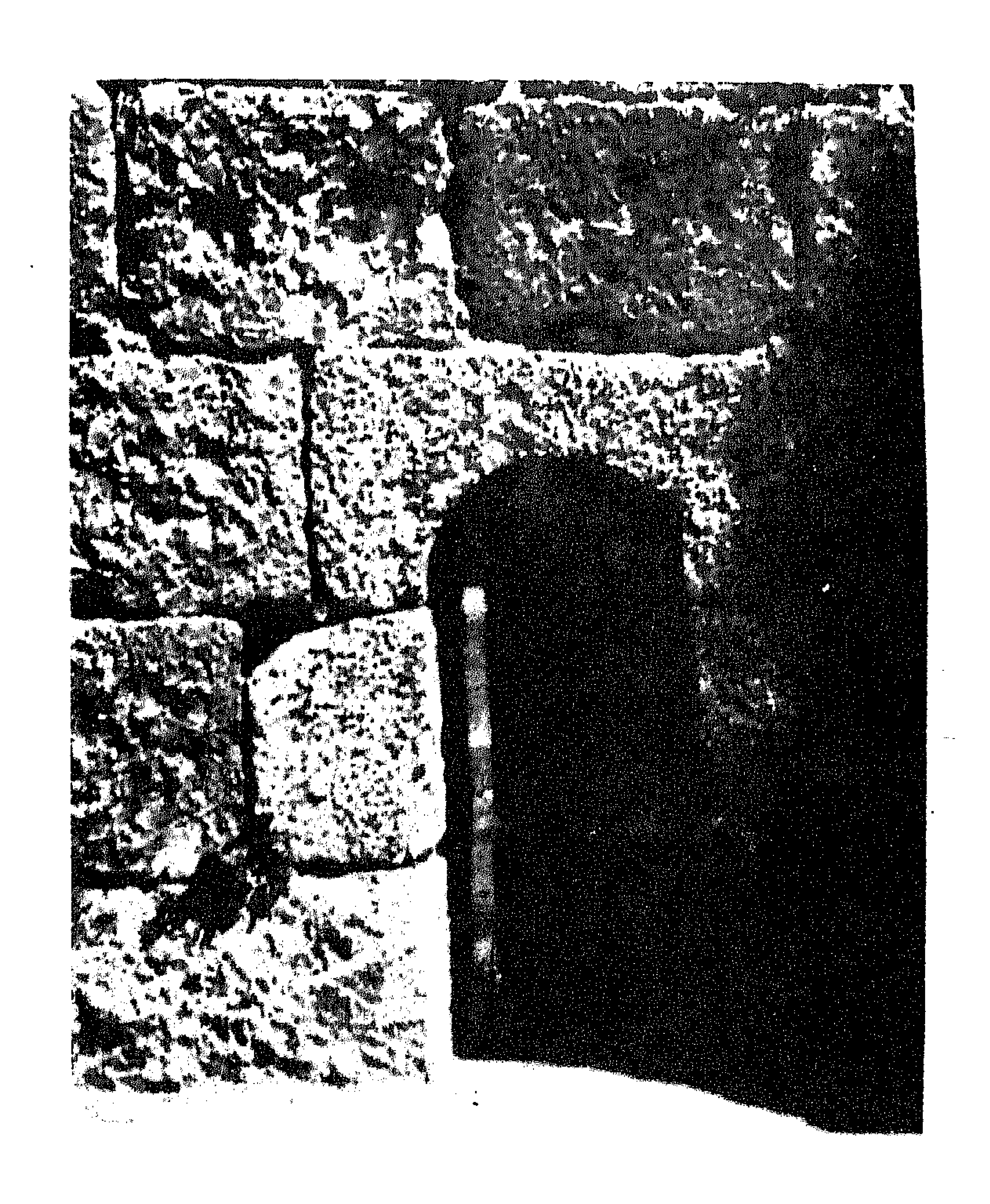
لوحة (٦) البرج الشمالى المعروف ببرج عز الدين أيبك (برج الحمام الزاجل) .
(تصوير الباحث)



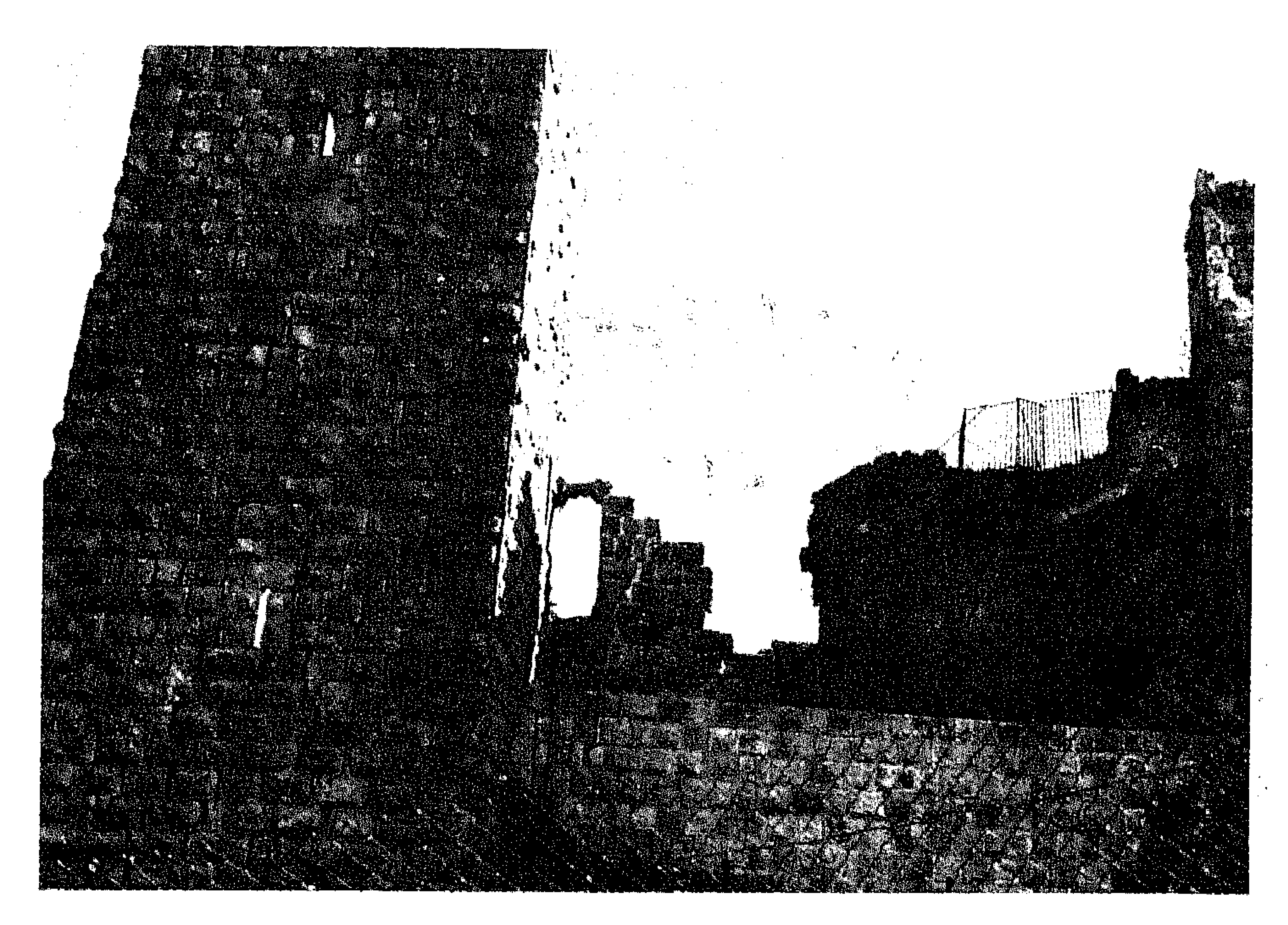
لوحة (٧) مصبعات حديدية من (إضافات دائرة الآثار العامة) عند نوافذ الطابقين الثانى والثالث .
(تصوير الباحث)



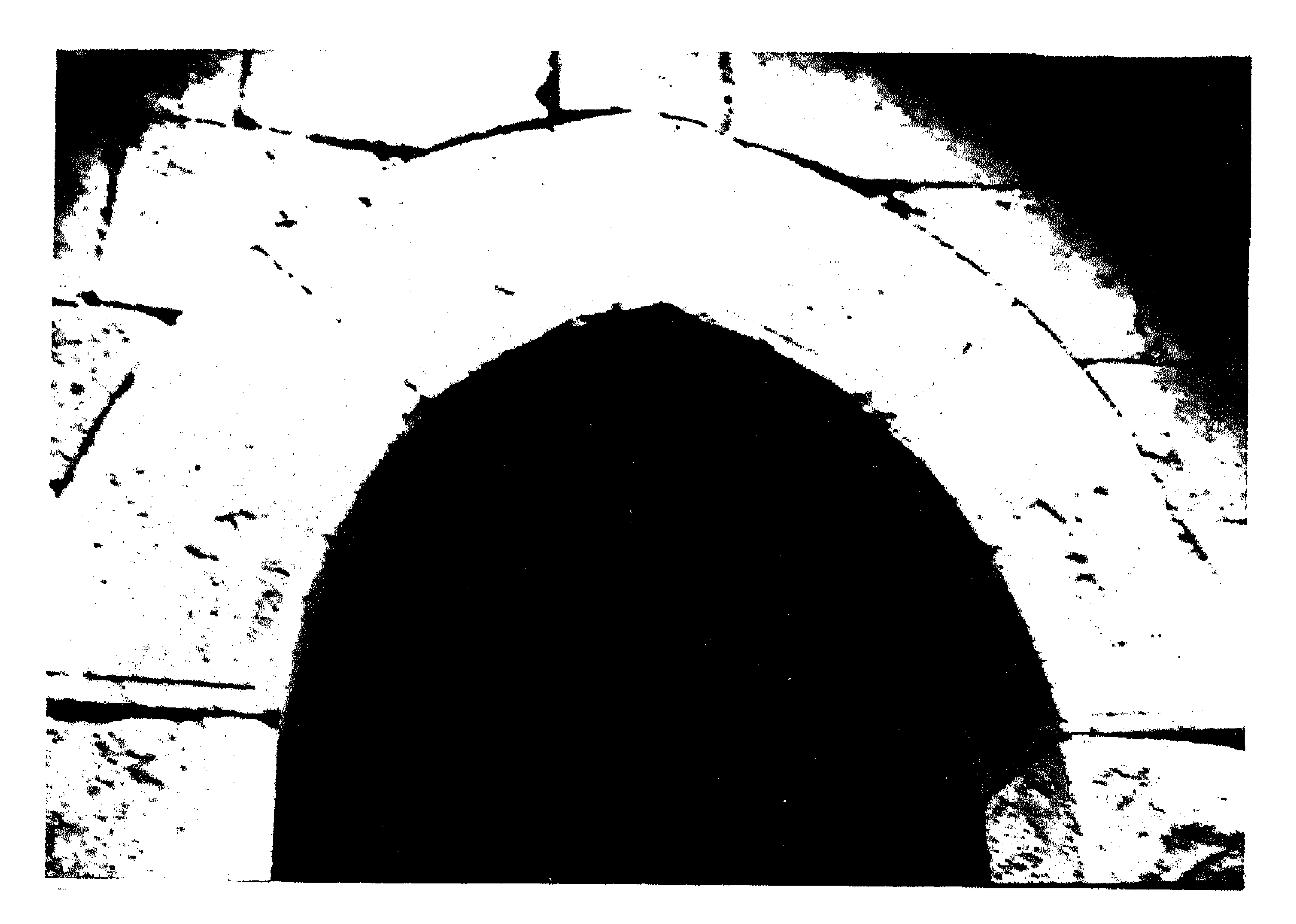
لوحة (٨) برج الحمام الزاجل ويظهر إلى جواره بعض الأجزاء من الطابق الثالث .
(تصوير الباحث)



لوحة (٩) نموذج لأحد المزاغل بالقلعة .
(.تصوير الباحث)



لوحة (١٠) الأجزاء المتبقية من الطابق الثالث لقلعة عجلون .
(تصوير الباحث)



لوحة (١١) مدخل إحدى القاعات (قاعة ٩) على المسقط الأفقى ، وعلى عقد الباب نحت زخرفى لطائر .
(تصوير الباحث)